علي سرر متقابلين

محمد ريحان

علي سرر متقابلين
محمد ريحان
تصميم الغلاف : عبير محمد
تدقيق لغوي: عبدالله أبو الوفا
رقم ايداع: 2017/28920
ترقيم دولي: 978-977-6594-30-9

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

علي سرر متقابلين

محمد ريحان

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء خاص جدًا

إلى أمي وأبي وأختي:
كنتم وما زلتم وستبقون سندي وظهري في هذه الدنيا، أسأل الله أن يحفظكم لي وأن يستركم فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض.
إلى قرة عيني ندى أحمد سالم،
أقول لك كما قال رسول الله لعائشة حبك في قلبي كالعروة الوثقى، حبك ينتشر في كل مكان في جسمي، حبك يملأ جوارحي، أسأل الله أن يجمعني بك على خير وأن يرزقني منك بالذرية الصالحة.
إلى أصدقائي الأعزاء أحمد المحمدي وعبد الرحمن يسري (أبو كارما):
أنتم الذين أعطيتم لي الخيط لأكون في هذه المكانة وأكتب هذه الرواية فلولاكم لَمَا وصلت إلى ما وصلت إليه الآن فهنيئًا لي بكم.
إلى صديقي العزيز المهندس أحمد عاطف،
أنت أقرب أصدقائي إلى قلبي، وقوفك بجانبي في لحظات كثيرة ومواقف عدة من أسباب خروج هذه الرواية إلى النور.
إلى مكتبة كتابيكو وكل العاملين بها،
بسببكم تغيرت حياتي بالكامل وبسببكم تعرفت على قرة عيني، اسأل الله أن تكوني في المستقبل من أكبر المكتبات في الوطن العربي.

استيقظ من نومه على أشعة الشمس الحانية التي تداعب وجهه ولحيته، مسح وجهه
كله بيديه ليزيل آثار النوم من عليه وقال:
"الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور".
توضأ وصلى ركعتي الضحى وهو محافظ عليها منذ فترة ليست بقريبه، لأنه عرف أهميتها ومواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها، أنهى صلاته ثم رفع يديه إلى السماء متضرعًا ربه بسيد الاستغفار وقال:
"اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.
كان يعلم أن من قال هذه الكلمات في يومه أو ليلته ثم مات أدخله الله الجنة بها.
ذهب إلى مكتبته وأخذ منها كتابًا ثم جلس على سريره وجعل يقلب صفحاته ويقرأ فيه حتى استوقفته صفحة من صفحاته، وبدأ ينظر إلى عنوانها بتركيز شديد وهو:
"إخاء النبي للمهاجرين والانصار".
عدل من جلسته وبدأ يقرأ بكل جوارحه:
"...وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما، وكان سعد كثير المال فقال سعد:
قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأُطلقها حتى إذا حلت زوجتها لك، فقال عبد الرحمن:
بارك الله لك في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق.

تمتم لنفسه قائلًا:
ما هذه الأُخوة وما هذا الحب؟! وما هذه العفة من هذا الرجل العفيف؟!
رجلان لم يتقابلا ولم يعرفا بعضهما إلا في هذا الموقف، رجل يعرض على رجل نصف ممتلكاته كلها لأن سعد يعلم أن إخاء النبي صلى الله عليه وسلم له بعبد الرحمن بركة، ستحل البركة على ممتلكاته، نعم ستحل البركة على ممتلكاته ولو قبل عبد الرحمن عرض سعد عليه بأن يأخذ نصف ممتلكاته ستزيد ولا تنقص! هذا الرجل الذي لم ينتهز الفرصة ويستولي على هذا العرض المغري ولو كان هناك رجل في زماننا توجد به عفة مثل عفة عبد الرحمن بن عوف إلا من رحم ربي ما وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن!
وقد نتحسر الآن على زمن سعد بن الربيع ونقول أين سعد بن الربيع الذي أراد أن يشاطر أخاه ماله وزوجته؟! فيكون الجواب هو: ضاع وذهب يوم أن ذهب عبد الرحمن بن عوف. فإذا كان السؤال: من الآن الذي يعطي عطاء سعد، فإن الجواب وأين الآن من يتعفف بعفة عبد الرحمن بن عوف؟!
لقد ذهب رجل إلى أحد السلف فقال:
أين الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية؟
فقال له:
ذهبوا مع من لا يسألون الله إلحافًا.
لقد هاجمته هذه الاسئلة والأجوبة وهو يقرأ هذا الموقف العظيم ومع كل دقيقة تمر عليه يسرح بخياله بعيدًا، لطالما حلم وتمنى أن يرى هذه الأخوة وهذا الحب بين الناس مرة أخرى، بعدما رأى أن هذه الصفات الجميلة تختفي من الناس رويدًا رويدًا، لطالما حلم أن يرى الشخص يحب أخيه ويساعده ويتمنى له ما يتمناه لنفسه، بعد أن رأى في هذا الزمن أن كل شخص يهمه في هذه الدنيا نفسه فقط، لطالما تمنى وحلم أن يضرب الناس المثل على شخصين متحابين في زماننا كأنهم رسول الله وأبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع في زمانهم من قوة حبهم وعلاقتهم مع بعضهم البعض.
أمسك هاتفه وجعل يقلب فيه وابتسامته الجميلة تزداد كلما مرت الدقائق،

وجعل يُقبل هاتفه على بعض الصور فيه بشفتيه، فأخذ ورقة وقلم من جانبه وظل يكتب وهو يقلب في هاتفه:

عندما نحب نختبئ من العالم وننتقل من عالمنا الحقيقي إلى عالم السعادة والخيال، عالم التضحية، عالم العطاء من شغف المشاعر بلا مقابل أو حدود، فقلوبنا حينها لن تعرف حدودًا للنبض أو وقتًا للتأني أو الصد، فالحب يسمح لنا بتذوق الحياة بطعمها الآخر العذب، طعم معايشة الذكريات ورسم الأمنيات وغفر الذلات، والابتعاد كل البعد عن خفايا الأحزان وبقايا حطام تلك الأزمان.

عندما نحب نصطنع المواقف ونكثر من السلام ونؤثر الصمت على الكلام، فنجد الكلمات قد تلاشت لتعبر عنها المواقف والأفعال، فجمال الحب يكمن في عذوبته النقية وفي جمال صوره ومصادفاته العفوية، والأجمل منه عندما يبادرك من تحب بما تشعر به وتكنه له في أحوج ليالي الظلام قبل أن تنطق شفتيك بالطلب وقبل أن تذرف عينك بدموع الرجاء.

ستمضي بنا الأيام لدرجة أننا قد نقف يومًا في منتصف الطريق تائهين باحثين عمن أحببناهم ليأخذوا بأيدينا إلى نهاية الطريق، الطريق الذي يمنحنا لونًا آخر في مجال الرؤيا ليكشف لنا ما تبقى من ضوء الأمل في غمرة الليل ووضح النهار، الطريق الذي يسمح لنا بإعادة تحديد الأهداف وتقصّي أحداث الأحلام، عندها قد نجدهم أمامنا ما يزالون قابعين في تلك المكانة السامية من الوفاء والمحبة والإخلاص، وقد نجدهم ابتعدوا ليتركوا لنا ما تبقى من ظلال ظهورهم المتلاشية في وسط ضباب الوهم وسراب الحب والذكريات.

وبعد أن كتب كلمته الأخيرة التفت إلى هاتفه وجعل يقلب فيه حتى استوقفته بعض الصور، وبسببها أطلق العنان لذكرياته وتذكر هذا اليوم وكأن أحداثه قد مرت أمام عينيه مرةً أخرى بكل تفصيلةٍ كانت فيه، تذكر هذا اليوم كأنه البارحة فكيف ينسى هذا اليوم الذي حقق فيه حلمه وحلم صديق عمره؟!

مر بجانبه وهو جالس في محل والده، فقد أخذه ما كان يفعل هو فتوقفت قدماه عن السير، واقترب منه فأعجبته لوحة الرسم التي يرسمها، ومن شدة إعجابه بها ظل يحدق فيها طويلًا، ثم سحب كرسيًا كان بجانبه وجلس أمامه، فالتفت لصاحب اللوحة فوجده طفل قريب من سنه، له شعر طويل وناعم يحذو حذو منكبيه وله عينان واسعتان.

قال له:

أتسمح لي أن أجلس معك؟

رد عليه الطفل الرسام:

تفضل.

قال له:

ما اسمك؟

الطفل الرسام:

عمر، وأنت؟

قال له:

حمزة.

عمر:

في أي صف من الصفوف أنت؟

حمزة:

في الصف الثالث الابتدائي، وأنت؟

عمر مبتسمًا:

حقًا، وأنا أيضًا في الصف الثالث الابتدائي.

حمزة:

رسمك جميل ومدهش، ما رأيت ولا قابلت أحدًا يرسم هذا الرسم الجميل.

قام حمزة من مكانه ومشى خطوات قليلة فسأله عمر متعجبًا:
إلى أين أنت ذاهب؟
حمزة:
سوف أشتري شيئًا.
نظر إليه مبتسمًا ثم التفت إلى لوحته وظل يرسم فيها، أما هو فقد ذهب إلى المكتبة مسرعًا التي كانت تجاور محل والد عمر واشترى ما كان يريده وذهب فجلس أمامه وقال له:
كراسة الرسم هذه وعلبة الألوان هدية مني إليك.
التفت إليه والسعادة تغمر كيانه، فكأنه اشترى له الدنيا وما عليها، فقام واحتضنه وقال له:
أنت أصبحت صديقي مذ هذه اللحظة، اطلب مني أي شيء.
حمزة:
أُريد منك أن ترسم لي سفينة وبحر وسمك كأني أراهم أمام عيني.
عمر:
لك ما تريد.
أخذ قلمه وظل يرسم ما طلبه منه، وهو لم يصدق أن هذا الطفل الذي هو من سنه يخرج منه كل هذا الإبداع وكل هذا الرسم المدهش، انتهى من رسمه فالتفت إليه وقال له:
أهذا ما تريده؟
حمزة مندهشًا:
ما هذا الرسم الجميل، سآخذ هذه اللوحة وأضعها فوق مكتبي لأنظر فيها كل يوم، محل والدي في هذا الشارع المجاور، أُريد منك أن تمر على كل يوم لنجلس سويًا ونرسم.
عمر:
سوف أفعل ما تريد، نحن أصبحنا أصدقاء.
حمزة:

هل تريد مني شيء؟ سوف أذهب إلى والدي.
عمر:
سلامتك.
تناول اللوحة وظل يمشي فرحًا بها حتى وصل إلى محل والده الأستاذ عبد الرحمن، الذي يملك مشروعًا تجاريًا خاصًا به، فأخبر والده بالذي حدث فنظر إليه وظل يسمح على رأسه وشعره في حنان.

منذ ذلك الموقف الذي جمع بينهما وقد أصبح حمزة وعمر صديقين لا يفترقان أبدًا يلعبان معًا ويأكلان معًا، وقد زاد من قوة علاقتهما أن أهلهم قد تعرفوا على بعضهم البعض وأصبحوا أصدقاء، وقد وصل من قوة هذه العلاقة أن يتوسل كل منهما إلى أمه كي يناما معًا.

كبرا معًا حتى وصلا إلى المرحلة الثانوية، ومما لا شك فيه من نتائج هذه الصحبة والعلاقة القويه أنهما دخلا معًا في نفس المدرسة، وفي الفصل ذاته فقد كادا لا يفترقان إلا ساعات قليلة حتى أن معظم المعلمين في المدرسة اعتقدوا أنهما أخويين.

وفي ذات يوم وبعد انتهاء الحصة الدراسية ونزول الطلاب إلى فناء المدرسة للهو واللعب، جلس عمر وحيدًا في الفصل فأخذ حقيبته وأخرج منها أدواته التي يعشقها، لوحته وألوانه وقلمه، هذه الأدوات عند عمر بمثابة الأكسجين الذي يتنفسه وبدأ يرسم، وابتسامته تزداد مع الدقائق التي تمر عليه، يعلم أن الرسم هي الموهبة التي رزقها الله له، فعاهد الله أن لا تضيع هذه الموهبة هباءً، وأن لا تموت مع المواهب التي ماتت مع أصحابها، فعاهد نفسه أن يرسم المشاكل التي تواجهه في حياته ويحلها، عاهد نفسه أن يرسم أحلامه كلها ويعلقها في غرفته، لينظر فيها كل يوم ليتجدد نشاطه وقوته عندما يصل إليه إحساس الضعف واليأس في عدم تحقيق أحلامه، وفي ظل انهماكه في رسمه دخل عليه حمزة وقال له:

ماذا تفعل عندك؟

عمر:

كما ترى، أرسم.

لم يلاحظ اللوحة التي رسمها لأنه كان بعيدًا عنه فقال له:

قد حان موعد صلاة الظهر، هيا قم لنصلي.

عمر:
دائمًا أنت الذي تذكرني بالصلاة، جزاك الله كل خير.
في هذه اللحظة اقترب منه ورمق اللوحة فاتسعت عيناه في ذهول.
حمزة متعجبًا:
ما هذا؟
عمر بهدوء:
حلمي الذي أدعو الله تعالى وأسأله كل يوم أن يحققه لي.
التقط اللوحة ونظر إلى الرسم الذي رسمه فوجد نفسه هو وعمر عند المسجد النبوي أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة رسول الله أبي بكر الصديق وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تسائل في نفسه: كيف رسم عمر هذا؟! هو يعلم أن الله أعطاه موهبة الرسم وكان رسمه يعجب ويدهش كل من رآه، ولكن ليس بهذه الروعة وليس بهذا الإبداع، هذا الرسم هو صورة حية وليس بقلم وألوان، نظر إلى الأبواب الثلاثة الخضر كما هي كأنه يشاهدها الآن في التلفاز، ورمق هذه الكلمات فهي كما هي بنفس الطريقة والصيغة التي كُتبت بها.
"هنا السلام على رسول الله".
"هنا السلام على أبي بكر".
"هنا السلام على عمر بن الخطاب".
آه كم تمنى أن يذهب إلى هناك، وكم تمنى أن يقف أمام هؤلاء العظماء، كم تمنى أن يقف أمام الشخصية التي أثرت فيه وفي حياته التي جعلته يشتري كتبه وسيره العطرة ويبحث عنها عبر الشبكات العنكبوتية كثيرًا، كم تمنى أن يقف أمام الشخصية التي كانت صلاته لا تخلو من هذا الدعاء:
اللهم اجعلني أنا وعمر وعمر بن الخطاب على سرر متقابلين في الفردوس الأعلى .

"اللهم اشف عمر وارفع عنه البلاء".
هذا الدعاء الذي خرج من فم حمزة بصوت لم يسمعه إلا هو وبسبب المشهد الذي رآه على جانب اللوحة وهو مرضه وشفاء الله له من هذا المرض.
كان يتذكر هذا اليوم جيدًا منذ سنتين والكلمة القاسية التي قالها له عندما بدأت معاناة عمر مع المرض، وكان يخبره أنه يشعر بأعراض غريبة في جسمه، وحدثت فجأة بدون مقدمات ولا مؤخرات، فطلب منه أن يذهبا إلى الطبيب فلم يعط عمر لهذا الموضوع أي اهتمام وأخبره أن هذا الشيء بسيط وسيختفي بعد أيام قليلة، لكن حمزة لم يرتح له بال لأن الذي شعر به ليس بشيء طبيعي.
ومع مرور الأيام حدث ما لا يحمد عقباه، ازداد التعب في جسمه فكان لا ينام من شدة الألم والتعب فذهب إلى حمزة إلى أعز أصدقائه وأخبره، فحزن عليه كثيرًا وقال له:
أن لم تذهب إلى المستشفى لن أكلمك ثانيةً!
كم أوجعته هذه الكلمة وعز عليه فراق أخيه وصاحبه، لن يتخيل حياته بدونه، لن يتخيل أن هذه الحياة تخلو من رفيق دربه.
وبالفعل ذهب عمر ووالده وحمزة إلى المستشفى، وبدأ الكشف هناك مع الطبيب وقاموا بأخذ عينة وأخبرهم الطبيب أن النتيجة ستظهر بعد أسبوعين.
مر الأسبوعان وذهب هو ووالداه وحمزة إلى المستشفى لمقابلة الطبيب، فرحب بهم وأجلسهم ونظر في نتيجة التحاليل التي كانت بين يديه، وبعد أن قرأها تغير وجهه قليلًا وضع الورقة والتفت إلى عمر وقال وهو مقطبًا حاجبيه:
أنت إنسان مؤمن وتخاف الله.
وسكت الطبيب لحظات ونكس رأسه لثوانٍ معدودة ثم رفعها موجهًا بصره إليه وقال له:
نتيجة التحليل تقول بأنك مصاب بمرض السرطان الخبيث.

كانت هذه الجملة التي خرجت من فم الطبيب بمثابة القارعة التي وقعت على أسماعهم، فنظر حمزة إليه في ذهول وقام واحتضنه وهو يبكي، أما والداه كان الله في عونهما قاما واحتضناه وظلا يقبلانه ويبكيان بين يديه بكاءً شديدًا حتى احمرت عيونهما من شدة البكاء، وحمزة يهدئهما ومن شدة بكائهما ظن حمزة أن هذا اليوم هو آخر يوم سيعيش فيه، أما هو فقد كانت ردة فعله عجيبة، رمقهم جميعًا وطلب منهم الهدوء وقال لهم:

إن هذه الدنيا من الدور التي تلتوى للإنسان ولا تستقيم له، قد جعلها الله من البلايا التي تكفر عن الإنسان خطاياه، إذا عرفها الإنسان حق المعرفة لم يفرح للنعيم الذي يعيش فيه ولم يحزن للشقاء الذي ينزل عليه، وإن الآخرة دار عقبى لهذه الدار الملتوية فجعل عطائها للإنسان عوضًا من هذه البلوى التي أصابته.

ثم سكت لحظات قليلة وهم ينظرون إليه ولم ينطق أحد بكلمة واحدة وكأن على رؤوسهم الطير ثم أردف:

هذا اختبار من الله لي، يريد الله أن يرى سأصبر أم لا، هو يرديني بهذا الابتلاء أن أصلي له واستغفره آناء الليل وأطراف النهار كي أتطهر من ذنوبي، هو يريدني بهذا الابتلاء أن أعلم أن هذه الدنيا صغيرة ولا تساوي شيئًا، ولا تقدر عنده بجناح بعوضة وأن الإنسان ستقبض روحه في أي لحظة، هو يريدني بهذا الابتلاء أن أكون مستعدًا للقائه في أي وقت.

لا تجلس في هذا المكان مرة ثانية يا أقرع يا مريض.
رنت أسماعهما بهذه الكلمات المؤلمة من ذلك الشاب الضخم صاحب الصوت الأجش، عرفه حمزة من صوته لأنه كان يعطي ظهره لباب الفصل أثناء جلوسه مع عمر، إنه طارق، زميلهما في الفصل، لم يرتح حمزة له منذ أن رآه بسبب سلوكه ومشاغبته.
دخل عليهما الفصل يصطحبه أربعة آخرون فالتفت إليه حمزة غاضبًا ثم نظر إلى صاحبه وتألم على حاله، وجد دمعة رقيقة تنزل على خديه فعلم أن هذه الكلمات أوجعته فأوجعته هو أيضًا، كم تمنى من الله أن يشفيه حتى لا يعايره أحد مثل هذا، كم تمنى من الله أن يشفيه ويصبح شعره طويلًا وناعمًا مثلما كان، لتداعب يده هذه الشيعرات التي تحذو أُذنيه عندما كانا يلهوان معًا قبل مرضه.
طارق:
ألا تسمع ما قلته لك؟!
قالها طارق وهو يقترب هو ورفقائه منهما، رمقه بنظرة قويه وقال له في حزم:
أنا متأسف أني جلست في مكانك ولكن أُريد أن أعلمك شيئًا، أن أردت شيئًا من شخص ما، أو فعل هذا الشخص فعلًا لم يعجبك، أو لم يدخل في هواك، اذهب إليه وتحدث معه بأسلوب رائق ومهذب، لا تعايره بشيء لا ذنب له فيه، لأنه من الممكن أن يبتليك الله بنفس الشيء الذي عايرت به هذا الشخص.
طارق بسخرية:
أُعلمك! الله الله الله، النملة سمعنا لها صوت، أنا الذي سوف أعلمك درسًا لن تنساه في حياتك.
أخذ طارق أدواته ولوحاته وألقاها على الأرض، وأمسكه من ملابسه وألقاه على الأرض هو أيضًا، وأخذ يضرب فيه برجليه ويديه هو ورفقائه.

لم يتحمل حمزة هذا المشهد الذي يراه أمام عينيه، صديقه وأخوه ورفيق دربه يحدث له كل هذا، تدخل وأمسك طارق من ملابسه ودفعه دفعة أوقعته على الأرض فتراجع الأربعة الآخرين، لم يصدق أن هذه القوة خرجت منه فهتف بهم بقوة وحزم والشرر يتطاير من عينيه:

لو اقترب منه أحد سوف أُزيله من على وجه هذه الأرض.

قام طارق وأصحابه الأربعة وهجموا على حمزة دفعة واحدة، وتركوا عمر وقاموا يضربونه بأيديهم وأرجلهم، فجرى عمر إلى المعلم الذي كان على مقربةٍ منهم خارج الفصل، وجاء به فوجده هو وأصحابه ينهالون عليه ضربًا، فصرخ فيهم فلما سمعوا صوته توقفوا وارتعبوا منه، فاقترب من حمزة فوجد الدماء تسيل من رأسه من أثر الضرب المبرح الذي تلقاه، فطلب منه أن يتصل بوالده ليأخذه من المدرسة ويذهب به إلى المستشفى ليطمئنوا عليه، وبالفعل قام عمر بالاتصال بوالده وقص له كل ما حدث فأخبره والده أنه سيصل إليه على الفور.

وفي هذه الأثناء أخذ المعلم حمزة إلى طبيبة المدرسة لتكشف عليه وتداوي له جروحه، وأخذ طارق ورفقائه إلى مدير المدرسة وقص عليه كل ما رآه، وقص عمر على المدير كل ما حدث، فاستشهد بالمعلم وعمر وطلب من المعلم أن يأتي بحمزة، فجاء به ووقف أمامه فوجد المدير آثار الضرب عليه وحكى له حمزة كل ما حدث وطلب من طارق ورفقائه أن يحكوا له ما حدث، فسكتوا جميعًا ولم ينطق أحد منهم بكلمة واحدة، فعرف أن المعلم وحمزة وعمر على صدق فقام بفصل هؤلاء الخمسة من المدرسة لمدة أسبوع كامل.

وفي هذه اللحظات جاء الأستاذ عبد الرحمن إلى المدرسة، وتوجه إلى مكتب المدير واستأذن عليه ورحب به، فوجد حمزة وعمر عند المدير، فحكى له المدير كل ما حدث وأخبره أن هؤلاء الطلاب أخذوا جزائهم على ما فعلوه، وأذن له أن يذهب ابنه معه وأعطاه إجازة لمدة أسبوع فشكره كثيرًا.

ركبا سيارة الأستاذ عبد الرحمن فوصلوا إلى بيته وذهب والده ليشتري بعض حاجات البيت، فنزلا من السيارة فأخذ عمر بيد صاحبه والتفت إليه وقال له

متأسفًا:
أنا متأسف جدًا يا صديقي، كل هذا بسببي.
ابتسم ونظر إليه في ود وحنان فربت على كتفه وقال له:
لو لم أُدافع عنك لن أستحق أن أكون صديقك؟
ثم سأله مازحًا:
لو كنت مكانك وجاء أشخاص يريدون أن يضربوني ويتعاركوا معي وكنت وحدي، ماذا ستكون ردة فعلك؟
لم يرد ورفع بصره إلى السماء وأخذ يحك يده في رأسه فهز رأسه وقال وهو مداعبًا له بعد أن ربت على كتفه ثانية:
أنا أعلم الناس بك، من أول صفعة على وجهي ستفر هاربًا.
ضحك الاثنان سويًا فهما دائمًا ما كانا يلهوان ويلعبان ويضحكان معًا، فجاء والده إليهما بعد أن اشترى حاجات البيت ورمق عمر وقال له:
هيا يا عمر، سوف تجلس وتأكل معنا اليوم.
عمر:
أنا آسف جدًا، لن أستيطع لأن والدي ووالدتي من الممكن أن يقلقا عليّ، أنا سأُرافق حمزة إلى البيت وأطمئن عليه وسوف أذهب.
حمزة:
سأُكلم والدتي لتتحدث مع والدتك وتخبرها، ليست هذه المرة الأولى التي تجلس وتأكل معنا. ثم قال له بنبرة صوت تقرب إلى الأمر:
ستجلس وتأكل معنا اليوم، اصدع لما آمرك به.
عمر:
كما تشاؤون.
ركبوا المصعد وصعدوا إلى البيت فضغط والده على جرس الشقه وفُتح الباب.
الأستاذ عبد الرحمن:
السلام عليكم، كيف حالك يا عائشة؟
عائشة:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
ثم رمقت حمزة ولاحظت ما ألمَ به وقالت في جزع:
ما هذا؟! ماذا حدث؟! من الذي فعل بك هذا يا حمزة؟
رد عليها عمر محاولًا أن يخفف من خوفها:
لا شيء، مشاجرة بسيطة في المدرسة.
دخل والده وهو البيت، فهرولت الأستاذة مريم والدة حمزة التي تعمل صحفية في مكتب إلى صالة البيت لتطمئن على ولدها، فحكى لها عمر كل ما حدث بعد أن رحبت به فتنهدت تنهيدة طويلة وقالت:
الحمد لله رب العالمين قدر الله وما شاء فعل، أُدخل يا حمزة وبدل ملابسك وسأقوم بتحضير الغداء.
هز حمزة رأسه والتفت إلى عمر وقال له:
دقائق معدودة وسوف آتي إليك.
جلس عمر على الأريكة التي في الصالة ليلتقط أنفاسه قليلًا، ظل ينظر إلى البيت يملأ عينه بكل ركن فيه وهو مبتسم، وكيف ينسى هذا البيت الذي كان يقضي فيه معظم وقته مع صديقه وهما صغيران، لم يتغير كثيرًا إلا من بعض الألوان والديكورات البسيطة التي طرأت عليه، التفت على يساره فوجد السفرة التي كانت بجانبه وحولها كراسيها، نظر إلى المكان الذي كان يجلس فيه هو وصديقه عندما كانت أمه تقدم لهما الطعام ويأكلان معًا، التفت أمامه فوجد شاشة التلفاز المعلقة على الحائط التي كانا يلعبان معًا الألعاب الإلكترونية ويشهادان أفلام الكرتون عليها، التفت على يساره فوجد الركنة الصغيرة وفيها دولاب صغير، ابتسم في حنان فقام من مكانه وفتح الدولاب الذي في الركنة فوجد فيه الألعاب الصغيرة التي كانا يلعبان معًا بها، وفي وسط هذه الألعاب أخرج كراسة الرسم الموجودة أعلى الرف، وظل يقلب صفحاتها وهو يبتسم وينظر إلى رسمه الذي رسمه في يوم من الأيام في هذا المكان.
وفي ظل انهماك عمر في ذكرياته دخل حمزة إلى غرفته وأبدل ملابسه وجلس على سريره فاستأذنت عليه عائشة فأذن لها، جلس الاثنان في صمت حتى

نظرت إليه وقالت له بنبرة صوت تقرب إلى الغضب:
كل مشاجرة وعراك تحدث لعمر تتدخل وتُضرب أنت بدل منه.
ابتسم والتفت إليها في حنان وربت على كتفها وسرح في وجهها، هو يعلم أن هذه الكلمات التي خرجت من عائشة بسبب عفويتها، أخذ يمسح على شعرها الطويل الناعم، فابتسمت بعد أن كانت غاضبة، حمزة يعلم نقطة ضعفها عندما تكون غاضبة.
لكل امرأة مدخل يعرفه الرجل الذكي ليهدئها عندما تكون غاضبة.
عائشة، أخته، توأمته، نزلا هما الاثنان معًا من بطن أمهما، كانت لا تفارقه أبدًا، تعتبره أخاها وصديقها ووالدها، تحكي له عن كل شيء، وتتعلم منه كل شيء، لها وجه ملائكي يذوب فيه ويعشقه كل من رآه، يحمل هذا الوجه عينين سوداوتين لو نظرت إليهما فكأنما غرقت في بحرٍ دافئ، ولها شعر أسود طويل وناعم فكأنه الليل حين يسدل أستاره على الدنيا، لها فم صغير وصوت رقيق وحسنة صغيرة أسفل فمها وعند طابع حسنها.
رفع نظره إليها وقال لها متعجبًا:
ماذا يا عائشة؟! ألا تعلمي المكانة والمنزلة التي يحتلها عمر في قلبي؟! سوف أقص عليكِ الآن موقفًا بعدما تسمعين له ستبدلين كلامك هذا الذي قلتيه، أمرك عجيب يا عائشة، أليس في كل وقت توصيني بعمر؟! أليس في كل وقت تأمريني أن أحرص عليه لينتهي من هذا البلاء والمرض الذي نزل به، أليس في كل وقت تخبريني وتقولين لي أن عمر طيب القلب وتقولين لي أنه يحبني.
سكتت عائشة ونظرت إلى الأرض وكأنها استحيت من كلامه وقالت بصوت رقيق:
أنا متأسفة، والله الذي لا إله الا هو أحب عمر كأخي ولكني أخشى عليك.
حمزة:
هل من الممكن أن تُقبلي عليّ بقلبك وأذنك لتسمعي ما أقصه عليكِ.
عائشة:
كلي آذان صاغية.

حمزة:
عن أسماء بنت أبي بكر قالوا لها: ما أشد ما رأيت على المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
قالت:
كان المشركون قعودًا في المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول في آلهتهم، وبينما هم كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا إليه وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم فقالوا:
ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا؟
فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:
بلى.
فلما صدقهم القول وعرفوا ما قال في آلهتهم تشبثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقيل له:
أدرك صاحبك.
فخرج أبي بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعون عليه فقال:
ويلكم، أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جائكم بالبينات من ربكم.
فلما سمعوا قوله لهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر يضربونه، ودنا منه عتبة بن أبي ربيعة أحد كفار قريش فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويفركهما في وجهه، ثم قام على بطنه حتى سالت الدماء منه وتمزق لحم وجهه حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تميم قوم أبي بكر لنصرته فتنحى المشركون، وحملته في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد الحرام وجعلوا يصرخون في المشركين قائلين:
والله لإن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن أبي ربيعة فرجعوا إليه فجعل أبو قحافة (والد أبي بكر) وبنو تميم يكلمونه، فلا يجيبهم وأُمه تبكي عند رأسه حتى أجاب فتكلم أخر النهار وفتح عينه وكان أول كلامه:
ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

رضي الله عن أبي بكر كان يهيم برسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا، يخاف عليه أكثر مما يخاف على نفسه!
كان كل من حوله أبوه وأمه وقومه مشركين فغضبوا وجعلوا يسبون رسول الله.
فقالوا لأمه أم الخير:
أنظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول:
ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
فقالت له أمه:
والله لا علم لي بصاحبك.
فقال لها أبو بكر:
اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.
فخرجت حتى جاءت أم جميل (وكانت تخفي إسلامها) فقالت لها:
إن أبا بكرٍ يسألك عن محمد بن عبد الله.
فقالت لها أم جميل:
ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، لو وددت أن أذهب معاك إلى ابنك؟
قالت لها:
نعم.
فمضت معها حتى وجدت أبي بكر صريعًا ممزق الوجه فدنت أُم جميل وأعلنت بالصياح وقالت:
إن قومًا نالوا منك لأهل فسق وكفر، إنى لأرجو أن ينتقم الله منهم.
قال أبو بكر:
ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
قالت أم جميل:
هذه أمك تسمع.
قال أبو بكر:
فلا شيء عليك منها.
قالت أم جميل:

سالم صالح.
قال أبو بكر:
أين هو؟
قالت أم جميل:
في دار الأرقم بن أبي الأرقم.
قال أبو بكر:
فإن لله عليّ أن لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراه بعيني.
فلما هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجه جريح، ودماء تسيل، وثيابه ممزقة فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة حتى ظهر التأثر على وجهه الشريف، فأراد أبي بكر أن يخفف عنه فقال:
بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي وهذه أمي برة بولدها فادعها إلى الإسلام عسى الله أن يستنقذها بك من النار، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت.
تنهد حمزة تنهيدة وقال وبصره شاخصًا إلى أُخته:
هل علمتِ الآن لماذا كلما يتشاجر عمر مع أحد أدافع عنه وأُضرب أنا بدلًا منه؟
عائشة:
سيدنا أبو بكر هذا عظيم، ألا ترى كم كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مستعدًا دائمًا أن يفديه بحياته كي يبقى رسول الله حيًا وتنشر دعوته.
حمزة:
سأخبرك بشيء، والله شاهد على مقولتي هذه، أنا أحب عمر مثلما كان يحب أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
تناول الجميع الغداء وذهب عمر إلى بيته بعدما اطمأن على حمزة، وأوصى عليه والده ووالدته وعائشة، وبعد دقائق قليلة رن جرس الباب، فتوجهت

عائشة إليه وفتحت فوجدت أمامها صديقتها هاجر.
هاجر صديقة عائشة وجارتها تكبرها بأربع سنوات ومتزوجة، لها قوام رشيق وبشرة فاتحة.
احتضنتا الاثنتان بعضهما البعض ورحبت عائشة بهاجر وجاءت إليها بقطع من الحلوى وجلستا الاثنتان سويًا تتحدثان مع بعضهما في صالة البيت.
لاحظت عائشة أن هاجر يركبها حزن، شاردةً طوال الوقت، لا تبدأ بالحديث، ولا يخرج منها الكلام إلا عندما تسألها.
عائشة:
ما بك؟
هاجر بحزن:
خالد زوجي، أوحشني، مرت سنتان ونصف بدون أن يأخذ إجازة من عمله، لا أستطيع التحمل أكثر من هذا، أنا محتاجة له، في المرة الأخيرة التي كلمته فيها أخبرني أن الكفيل قال له أنه لن يأخذ الإجازة قبل السنتين، قبل أن ينتهي من عمله، مع أن البند الذي في عقد العمل ينص على أن الطرف الثاني وهو خالد يحق له أن يأخذ إجازة كل سنة لمدة ثلاثين يومًا، وأخبرني أيضًا أنه جلس معه وظل يقنعه مرارًا وتكرارًا ويخبره أن العمل له بديل ولن يتوقف على أحد، وأن زوجته تحتاج إليه لأنه متزوج مذ فترة قريبة، وفي آخر هذه المحاولات قال لي أنه ليس موافق على أن يعطيه الإجازة.
عائشة بتعجب:
هؤلاء السعوديون -إلا من رحم ربي- ألا يوجد لديهم إحساس؟! ألا يتعلمون من أجدادهم؟! من المفترض أن يكونوا قدوة للعالم لأن الحرمين الشريفين على أرضهم، قد سمعت من حمزة أن لديه أصدقاء في المملكة العربية السعودية يشتكون من معاملة السعوديين لهم، ومن المفترض أن المملكة العربية السعودية لديها عمالة من جنسيات مختلفة، ولديها عمالة تضم المسلم وغير المسلم أمثال الهندوس الذين يعبدون البقر وغيرهم، هؤلاء الناس عندما يرون المعاملة الطيبة والحسنة من الكفيل من الممكن أن قلبهم يحن ويتحرك للإسلام، أما لو

رأوا غير ذلك من المعاملة السيئة يقولون في نفسهم أهؤلاء هم المسلمون؟! أهذا هو الإسلام الذي أمر به نبيهم؟! أهذا هو الإسلام الذي يتحاكى عنه الناس؟! لو كان هذا هو الإسلام حقًا فإن ديني خير من دينهم، وقد سمعت من حمزة أيضًا أن هناك سعوديين لا يوجد مثلهم على وجه هذه الأرض، هم حقًا أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم بأخلاقهم ومعاملاتهم للناس، في أي بقعة على وجه الأرض يتواجد الطيب والخبيث.

ثم استطردت كلامها وقالت مواسية لهاجر:

إن شاء الله سوف تريين خالد في أقرب وقت.

هاجر:

إن شاء الله.

عائشة:

سوف أُحضر لكِ شيئًا وآتي إليكِ.

قامت عائشة وتوجهت إلى غرفتها وأخذت كتاب من مكتبتها الصغيرة، ثم عادت إلى هاجر وجلست في مكانها، أخذت تقلب صفحات الكتاب حتى وصلت إلى الصفحة التي تريدها، ناولتها الكتاب وطلبت منها أن تقرأ هذه الصفحة، أخذت هاجر الكتاب من يد عائشة وبدأت تقرأ:

عن السائب بن جبير مولى ابن عباس رضي الله عنهما، وكان قد أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما زلت أسمع حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج ذات ليلة مع خادمه أسلم يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرًا، إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها باباها وهي تقول:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه، وأرقني أن لا ضجيع أُلاعبه

أُلاعبه طورًا وطورًا كأنما، بدا قمرًا في ظلمة الليل حاجبه

فو الله لولا الله لا شيء غيره، لحُرك من هذا السرير جوانبه

ولكنني أخشى رقيبًا موكلًا، بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

فلما سمع أمير المؤمنين هذه الكلمات الفريدة من نوعها تمتم بتأثر شديد:

يرحمكِ الله، ما عليها بأس، حركها الشوق وعصمتها العفة، وهل العفة إلا مغالبة الرغبة أن توضع في حرام؟! ثم التفت إلى خادمه أسلم وقال:
هل لك علم بصاحبة البيت يا أسلم؟
قال أسلم:
إنها امرأة مغيبة، زوجها في جيش سعد بن أبي وقاص.
قال أمير المؤمنين:
حق علينا أن نسأل كم تصبر المرأة على زوجها فنأمر أن لا يغيب الجند فوق ذلك وإلا فليلحق أحدهم به زوجه، فإن لهن على الرجال مثلما للرجال عليهن.
ثم انطلق أمير المؤمنين حتى دخل على حفصة بنت عمر بن الخطاب أُم المؤمنين فقالت له:
ما جاء بك في هذا الوقت؟!
قال لها أمير المؤمنين سائلًا:
يا بنية كم تحتاج المرأة إلى زوجها؟
قالت أم المؤمنين حفصة:
ستة أشهر.
فأمر مناديه فكتب أن لا يغزو جيشًا أكثر من ستة أشهر، ثم وجه إلى هذه المرأة كسوة ونفقة وكتب لها أن يقدم عليها زوجها.

مرت الأيام وقد اجتاز حمزة وعمر وعائشة اختبارات الثانوية العامة، وقد تعبوا تعبًا شديدًا في أيام المذاكرة، فلقد كانوا يذاكرون ويؤازرون بعضهم البعض، ولقد كان وقت راحتهم هي الصلوات، فكان حمزة يصلي بهم لأنه أعلمهم وأعذبهم صوتًا، ومن جراء هذا التعب فقد كافأهم الله بمجموع جيد وقدموا أوراقهم في كلية التجارة وقُبلوا بها.

وفي فترة التحاقهم بالكلية ازداد التعب في جسم عمر وازدادت جلسات العلاج، فكانت هذه الفترة صعبة ومؤلمة، ناهيك عن العلاج بالكيماوي، الذي كان يشعر بعده بالاكتئاب والغثيان والدوران والألم الجسدي، فكان يجلس وحده في غرفته يذكر الله تعالى في سره ويحاول أن يستوعب ما يحدث له، كان يتمنى أن يكون هذا كابوسًا ويستيقظ منه الآن.

وفي يوم ذهب عمر وعائلته وحمزة وعائشة إلى الطبيب الذي يشرف على حالة عمر، وأخبرهم أن الورم بدأ يتضائل ويصغر، وعليهم استئصاله في أقرب وقت، وسيتم استئصال أيضًا جزء من الجلد والعضلات أي ما حول الورم؛ لضمان عدم وجود أي خلية سرطانية في أي مكان، وأخبرهم أن العلاج بالكيماوي في الفترة المقبلة سيزداد، وربما الإشعاعي أيضًا، وسيحدد ذلك أطباء الأورام.

نظر حمزة إلى عمر، وهو لم يرفع عينه من عليه وظل يهز رأسه هزات خفيفة وابتسامة جميلة على وجهه، وعمر يرد له بنفس الابتسامة التي ارتسمت على شفتي حمزة بتفاصيلها ومقاساتها، عمر يعلم أن هذه النظرة كانت تقول له، ما بقيَ إلا القليل، سينمو شعرك من جديد لأداعبه بيدي، أخبرهم الطبيب أن لا بد من التوجه إلى مركز الأورام ومقابلة الدكتور أُسامة صديقه؛ ليحدد عدد جرعات الكيماوي وكل ما يتعلق بالعلاج الكيميائي، وأنه سيكون على اتصال دائم به لتحديد موعد الجراحة الكبرى، وفي طريق العودة إلى منزله ظل يمزح ويضاحك والديه وحمزة وعائشة؛ فشعروا بالراحة لردة فعله وتقبله للأمر، أما

المهندسة سلمى والدته، والتي تعمل مهندسة ديكور في مكتب هندسي، فلم تكف عن البكاء طوال الطريق وكان بكاؤها صامتًا لا يُسمع، كان هو فقط من يشعر بنحيبها واهتزازها من البكاء، فحاول التخفيف عنها فكان يتألم بشدة لألمها الشديد وحزنها.

بعد عدة أيام توجهت عائلة عمر يصطحبهم حمزة وعائشة إلى مركز الأورام الذي حولهم الطبيب إليه، وبعد الكشف وقراءة التقارير والأشعات والتحاليل، أخبرهم الطبيب أن جلسات العلاج الكيميائي ستزداد ولن نحتاج إلى العلاج الإشعاعي.

وبعد أيام بدأت الجرعة الأولى، وبعد الفحص الروتيني والتحاليل السابقة للجرعة قامت الممرضة بتوصيل المحاليل والكيماوي، ولا بد أن تستمر المحاليل أربعة وعشرون ساعة لمدة ثلاثة أيام، فبدأوا بتعليق المحاليل والكيماوي، فكان لون المادة الكيماوية أحمرًا أو برتقاليًا مائلًا للحمرة، فكان يعرفه لأنه عندما رآه في المرة الأولى علم أن هذا النوع من أشد الأنواع وأنه يسقط الشعر كله من أول مرة، وفي المساء بدأ عمر يتقيأ ولازمه القيئ طوال الليل، وكان الإرهاق والتعب قد بلغ من جسمه مبلغًا، فكان لا يطيق رائحة الطعام ولا حتى يُذكر أمامه.

عاد إلى المنزل واستقبله أهله وأصدقاؤه ووالدي حمزة وعائشة؛ فنسي آلامه وتعبه بما رآه من الترحيب واللهفة عليه، لم يتوقع أن الناس تحبه لهذه الدرجة ولكن الغثيان والقيئ قد بدآ يهاجمانه ثانيةً، فاستمر لمدة أسبوع وأكثر وبدأت أعراض أخرى في الظهور، منها آلام اللثة والحلق والعينين، وعدم القدرة على التركيز والنسيان والضعف الشديد، احتسب عمر واسترجع وازداد إصرارًا على المقاومة، وظل يردد دائمًا هذه الآية في كل وقت وحين: "إن مع العسر يسرًا"، كان يذكر نفسه دائمًا أن لا بد من المذاكرة والتركيز فاختبارات نهاية العام الأول في الكلية بعد أقل من أسبوع.

في هذه الفترة جلس كل من حمزة وعائشة لمساعدة عمر في المذاكرة وشرح ما فاته، فكانت إدارة الجامعة قد سمحت له بلجنة خاصة داخل مبنى الإدارة، فكان الأستاذ سلطان والده، والذي يعمل موجهًا في مديرية التربية والتعليم، قد

ذهب للإدارة لتقديم اعتذار وتأجيل وذلك دون علمه لأنه لو علم سيحزن كثيرًا، لكنه حين ذهب فوجئ برفض شديد من قبل أستاذ القسم وبتعاطفهم الشديد وحرصهم على أن يدخل الاختبارات.

وبالفعل دخل عمر الاختبارات وكانت أيامها مملوءة بالمشاعر المختلطة، وكان أصدقاؤه حوله في كل الأوقات وبالأخص حمزة وعائشة، لا ينسى مشاعرهم وما فعلوه معه طوال فترة مرضه، فعندما كان يخرج من الامتحان كانوا يلتفون حوله في حب واشتياق، لا في شفقة وأسى، يخبرون عمر كم اشتاقوا له ولصحبته فيرفع كلامهم روحه المعنوية، لم يكن يفكر أن مشاعرهم كانت شفقة وإنما كان يفكر بسعادة وتفاؤل بأنه الحب في الله الذي يجمعهم في السراء والضراء، فكان يزداد إصرارًا وأملًا ورجاءً ودعاء لله تعالى، وكان يكثر من دعاء أيوب عليه السلام.

"ربي إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين".

وبعد أسبوعين وعدة أيام أنهى اختباراته وكان الطبيب قد سمح له بتأجيل موعد الجرعة يومين فقط حتى ينتهي من اختباراته.

ذهب إلى المركز الطبي من جديد، وانتهت الجرعة بنفس أعراض الجرعة السابقة، بل أشد، وكذلك الجرعة الثالثة والرابعة، فكان من جراء ذلك أن أصبحت الحالة الصحية له في تدهور.

حان موعد الجراحة التي حددها الأطباء، فسافر هو وأهله يصطحبهم حمزة وعائشة قبل موعد الجراحة بيومين؛ فلا بد من إجراء العديد من التحاليل والفحوصات وبالفعل خضع للعديد من الفحوصات ورسم القلب وتحاليل الدم .

كانت الغرفة هادئة فاستيقظ ليجد والدته وعائشة إلى جواره تقرآن القرآن، فسأل عن والده وحمزة فأجابتاه أنهما ذهبا للتبرع بالدم؛ فإنه سيحتاج للكثير منه.

حضرت الممرضات إلى غرفته لتجهيزه ووضعنه على السرير المتحرك وتوجهن إلى المصعد، فاستودعاه لله واستودعهما له.

مر على طرقات طويلة وكئيبة وغرف عمليات كثيرة، فلم يتوقف لسانه عن تلاوة القرآن والدعاء والذكر، لم يفكر بحاله وإنما كان يفكر في والديه وأهله وحمزة وعائشة فكان يدعو ويقول:
اللهم اشفني كي يفرح أهل بشفائي وأُحقق لهم ما يتمنونه، اللهم اشفني كي أُحقق حلمي وأذهب أنا وحمزة إلى بيتك الحرام ونزور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر،
اللهم اشفني لأحضر رمضان وأصومه وأُصلي مع حمزة التروايح.
فبعد أن قال هذه الكلمات الرقراقة دخل غرفة العمليات ردد الشهادتين ثم غاب عن الوعي.
استيقظ على آلام مبرحة لكنها لسيت كالسابق أبدًا، فكأنه في بالون كبير ليس مملوءً بالهواء بل بالآلام القاتلة، وهو في المنتصف يبكي ويصرخ ويتألم ويقول: يا رب، يا رب. ولو أن أحدًا فقط مر بجوار فراشه أو لمس أصبعه طرف السرير دون حتى أن يراه كان يصرخ ويتألم، جفنه ثقيل من تأثير البنج ولسانه أثقل ولكنه يشعر بما حوله، الأستاذ سلطان وحمزة يزرعان الممر ذهابًا وإيابًا يتحدثان إلى الأطباء والممرضات أن يعطوه مزيد من المسكنات القوية والبنج، ولكنهم يجيبون بأنهم بالفعل أعطوه الكثير وأي إضافة أخرى ستضره كثيرًا.
حضر الطبيب وأعطى لعمر حقنة وأخبر والده أن تأثيرها كتأثير المخدرات، وإن هذا أخر ما سيسمح به، فهدأ الألم قليلًا في جسم عمر لكنه ما زال مستمرًا، فاستمرت هذه الآلام المبرحة عدة أيام وإن قلت تدريجيًا، كانت غرفته دائمًا مليئة بالزوار والأقارب والأهل والأحباب، وبعد عدة أيام غادر المستشفى وعاد إلى المنزل، وأخبره الطبيب أنه سيتابع العلاج الكيميائي بعد أيام قليلة.
في غرفته تركوه لينام ويرتاح، وبعد فترة استيقظ من النوم وأراد النهوض للذهاب إلى دورة المياه فلم يستطع الحراك فأصابه الحزن للحظات وجلس يبكي، كان يفكر أنه أصبح عبئًا ثقيلًا على أهله فكانوا يساعدونه ويسندونه في كل خطوة يخطوها، دعا الله أن يفرج كربه وفي ظل دعائه دخلت عليه والدته فوجدته يبكي بكاءً شديدًا، فلم تتحمل دموعه وحزنه فتركته وغادرت الغرفة، وفي المساء

حضر الطبيب إلى المنزل وأعطاه بعض الأدويه وبعض المقويات وظل يتحدث معه ويمازحه ويذكره بالله ويرفع من روحه، فكانت لهذه الجلسة أثرًا طيبًا في نفسه بعد أن يأس في لحظات ولو قليلة فقام وتحرك بيسر ليساعد والدته قدر المستطاع ففرحت والدته فرحًا شديدًا بهذه الخطوة وشكرا الطبيب كثيرًا.

وبعد أيام عاد إلى المركز الطبي للأورام، فبعد أخذ عينة من الجزء المستأصل وتحليله قرر الأطباء أن عمر سيكمل ستة جرعات كيماوية أخرى؛ وذلك للوقاية حتى لا يعود المرض في جسمه مرة أخرى، فأول هذه الجرعات ستستمر لمدة خمسة أيام والثانية ثلاثة أيام والثالثة خمسة أيام والرابعة والخامسة كل منهما خمسة أيام، بعد أن سمع عمر تقرير الأطباء كان سيفقد عقله من الصدمة.

ستة جرعات أربعة منها تستمر خمسة أيام!

كان يعلم أن قبل كل جرعة لا بد من إجراء تحاليل وفحوصات ورسم قلب للتأكد ما أنه سيتحمل الكيماوي، كانت التحاليل هذه المرة سيئة، فكان من نتيجة ذلك أن ينقلوا دم له مع أنه قد نُقل له الكثير أثناء الجراحة، وبعد أن نقل الدم له وكان بالتأكيد من دم حمزة ووالده عاد إلى المنزل لأنه بالتأكيد لن يصمد أمام الكيماوي في هذه الحال الضعيفة.

وبعد ثلاثة أيام عاد إلى المركز الطبي للأورام وكانت التحاليل أفضل قليلًا، فبدأت الجرعة، كانت أوردته ضعيفة وقد أثر الكيماوي فيها كثيرًا فالوريد الذي يمر فيه الكيماوي لا يُستفاد منه مرة أخرى كأنه يحترق ويصبح هباءً منثورًا، فكان لا يشفى بسرعة بل يحتاج للكثير من الوقت، فأصبح تركيب الكانيولا وإيجاد الوريد المناسب عذاب وهم جديد.

مضت خمسة أيام عليه كأنها شهور ودهور، القيئ والغثيان والضعف الشديد أصبحوا أصدقاءه لا يفارقونه، فأصبح يكره المركز الطبي بشدة ولا يطيق حتى رائحته، انتهت الجرعة وعاد إلى المنزل وحذر الأطباء من ارتفاع درجة الحرارة، فإن حدث ذلك وارتفعت فلا بد من العودة بسرعة إلى المركز لأن ذلك يعني النقص الشديد في كرات الدم البيضاء.

وبعد يوم واحد ارتفعت درجة الحرارة عنده وأسرع به حمزة وعائشة وأهله

إلى المركز الطبي، وكانت نتيجة التحاليل سيئة للغاية فلا بد من قضاء خمسة أيام أخرى، انفجر يبكي ويصرخ وطلب أن يعطوه أي شيء ولكن في منزله حتى يموت على فراشه فقد يأس من الحياه وتحقيق حلمه فيها، ولقد كره الحياة وكره كل ما فيها فأصبح يتمنى الموت أن يُسرع إليه الآن ويقبض روحه؛ ليرتاح من كل هذا ولكن الأطباء رفضوا رفضًا شديدًا عودته إلى المنزل، ولم يتأثروا لبكائه وتوسلاته وأخبروه أن جهازه المناعي ضعيف ولا بد من عناية فائقة، وبعد دقائق استغفر ربه وعاد إليه رشده فتمتم في حزن وقال: لو كنت جبلًا ما تحمل كل هذا، اللهم أعني اللهم كن معي. فكان يصبر نفسه بأن كل هذه الابتلاءات من محبة الله له وكان يذكر نفسه دائمًا ويقول: إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

كان العلاج له عبارة عن أربعة أنواع من المضاد الحيوي لمدة خمسة أيام، حقنة تحت الجلد مرة واحدة يوميًا، ومحلولين كل منهما مرتين يوميًا وحقنة أخرى مرتين يوميًا، لكن هذه الأخيرة كانت تحطمه تمامًا خاصة عند أول مرة، كانت تُؤخذ في الوريد فيشعر بفوران في دماغه ورأسه ويشعر بخدر شديد، فكانت تُغلق عيناه في الحال وتتورم ويتورم فمه وسائر وجهه وكان يعجز عن التنفس من أنفه ويسد تمامًا، فمضت خمسة أيام كان فيها عمر حزينًا كئيبًا وقد بدأت نفسيته في التدهور كثيرًا، ثم حان موعد الجرعة الثانية فاستمرت هذه الجرعة لثلاثة أيام فقط ثم عادوا إلى المنزل، وبعد يومين عادت الحرارة من جديد وعادوا إلى المركز فأصابه بكاء وصراخ هستيري حين قرر الأطباء ضرورة حجزه، فالتحاليل كانت سيئة للغاية ولا بد من نقل دم ومضادات حيوية مكثفة وكل ما مر به في الفترة السابقة عاشه مرة أخرى، وبعد يوم أجروا له فحوصات على أمل العودة مبكرًا للمنزل، فرح عمر كثيرًا وتأهب للعودة ولكن الطبيب قرر إكمال خمسة أيام أخرى ورفض العودة فبكى عمر كثيرًا ثم نام.

وبعد عدة ساعات حاول كل من والديه وحمزة أن يوقظوه فلا يستيقظ، يرفعوه فيسقط، يسمعهم ولكن لا يستطيع حتى أن يفتح عينه، ولا يتسطيع التنفس. لا يوجد ضغط في الدم، النبض ضعيف، قالتها والدته وهي فزعة مذهولة،

مهرولين به إلى العناية المركزة، أوصلوه بالعديد والكثير من الأجهزة وأجهزة التنفس الصناعي، وبعد فترة وجيزة بدأ عمر يلتقط أنفاسه واستطاع أن يفتح عينه، أول ما وقعت عينه على والدته، رأى عينيها الحمراوتين المحدقتين إلى الشاشة لا تحرك عينيها عنها، وبضعف شديد يناديها: أمي، أنا بخير، الحمد لله. فتنهمر دموعها وهو يبكي لحالها فيدعو ربه بالشفاء العاجل ليسعدها ويساعدها.

وبعد أيام أجرى الأطباء الأشعات المطلوبة ومنها الأشعة المقطعية بالصبغة، كانت مادة الصبغة متعبة ومؤلمة جدًا ولا تُحتمل، دخل إلى الجهاز لإجراء الأشعة وفي منتصف الوقت أخرجوه ليحقنوه بمادة الصبغة فكان يشعر بها فورًا في الوريد فتكاد تمزقه فكان يضيق صدره ويشعر بالاختناق والغثيان.

بدأت الدراسة للعام الدراسي الجديد فنجح بفضل الله وبفضل حمزة وعائشة اللذين لم يتركاه لحظة واحدة، أخبره أحد أصدقائه أنه أجل حفل زفافه حتى يتمكن من حضوره، ولكنه رفض ذلك وألح عليه أن لا ينتظره لأنه لا يعلم متى ينتهي من العلاج، فأقام صديقه حفل زفافه فكان يومًا سعيدًا على صاحبه ويومًا حزينًا عليه لأنه لم يحضر حفل زفاف صديقه.

جلس في غرفته كئيبًا يبكي بكاءً شديدًا وظل يحدث نفسه ويقول: إنها أبسط الأشياء أن أحضر حفل زفاف صديقي ولكن السرطان منعني، لو كنت ذهبت إلى حفل زفافه كان الناس سيسخرون من هيئتي ويقولون هذا مريض بالسرطان ويبتعدون عني بل كان منهم من سيحاول أن لا ينظر إليّ لكي لا يشمئز في هذا اليوم، منذ فترة كنت أُحاول البحث عن وظيفة ووجدتها وعندما ذهبت لأتحدث إلى المدير وعندما رآني ظل يخلق الحجج لكي لا أتوظف، أعلم لماذا فعل هذا لأني مريض، لأن هيئتي لا تصلح لهذا المكان، ستنفر الزبائن مني عندما يروني، لقد حسبها المدير في باله وقال إذا توظف هذا الشخص فستأتي الخسائر على هذا المكان، مرت هالة عائشة أمامه وتذكر وقوفها بجانبه في هذه الأيام هي وأخوها فابتسم، وحدث نفسه مجددًا، عائشة، عائشة أنا معجب بها بأخلاقها، أُريدها أن تكون زوجة لي في المستقبل، سأكلم حمزة وأهلها في

أقرب وقت، تأمل في هذه الجملة الأخيرة ورجع لنفسه كأنه ارتكب جريمة، وهل تراهم سيوافقون عليك، وهل تراهم سيوافقون على مريض مثلك، أنت في حسبانهم أنك ستعيش أيام قليلة ثم ترحل عن هذه الدنيا ثم سيحملونك على أعناقهم ذاهبين بك إلى مثواك الأخير، فهل تستحق عائشة هذا، هل تستحق أن تعيش مع شخص مريض عاجز، من الممكن أن يموت في أي وقت، هذه من أبسط الأشياء أيضًا، أن أُعجب بفتاة وأُريد أن أتزوجها على سنة الله ورسوله ويمنعني المرض، رفع رأسه إلى أعلى وصرخ بأعلى صوته وقال بحنق:

لماذا؟ لماذا؟ أُريد فقط أن أعرف لماذا يا رب فعلت بي هذا؟

دخلت عليه والدته ولم يشعر إلا وهو في أحضانها، احتضنته بقوة وقالت في تأثر:

لا تقل هذا يا ولدي، استغفر الله.

ظل يرددها وهو في أحضانها حتى هدأت نفسه حتى نام في حضنها.

وبعد أيام حان موعد الجرعة التي سيأخذها ومر عليه كل ما مر به من كل جرعة سابقة فاحتاج في هذه الجرعة نقل صفائح دموية ومكث أيام في المركز الطبي.

جاء رمضان ولم يتمكن من الصيام وأخذ الجرعة الرابعة فتغير شكله تمامًا، سقط شعره وحاجباه ورموشه وشحب لونه تمامًا، أصبح كالأشباح فتبقى له جرعتان.

أمر الطبيب بالبدء في العلاج الطبيعي، فبدأت مأساة أخرى، أثناء جلسات العلاج الطبيعي كان صراخه يملأ أنحاء المستشفى، ضعف شديد وآلام مبرحة، كان عمر يسمي العلاج الطبيعي بالعذاب الفظيعي لما يراه في هذا العلاج.

اقتربت امتحانات نصف العام الدراسي ستكون بعد الجرعة ما قبل الأخيرة بأربعة أيام فقط، لكن ذاكرته وتركيزه في أسوأ حالاتهما بالإضافة إلى ألم عينه والدموع التي تنهمر إذا حاول أن يقرأ شيء ما.

أخذ الجرعة ما قبل الأخيرة وحدثت له تشنجات فأخبر الطبيب أهله أن هذا بسبب نقص الكالسيوم الشديد مع أن كل المحاليل بها كالسيوم ومغنسيوم وبوتاسيوم وأشياء كثيرة، لكن الكيماوي كان شديد القوة وجسم عمر في أشد

الضعف.
بدأت الاختبارات وكان يبكي كثيرًا لعدم مقدرته على الرؤية بوضوح وعدم قدرته على التركيز، شعر بالضغط الشديد فطلب من والديه وحمزة وعائشة أن يؤجل ولو مادتين لكنهم شجعوه وذكروه أنه كان مصرًا على الإكمال وعدم التأجيل أبدًا فانتهت الاختبارات بصعوبة فائقة وجهد كبير.
تأجلت الجرعة الأخيرة لعدة أسابيع لسوء التحاليل حتى اقترب عيد الأضحى وأخيرًا وبعد العديد من المضادات الحيوية ونقل الدم تحسنت التحاليل قليلًا.
بدأت الجرعة الأخيرة وأصابه رعب هيستيرى وبكاءٌ وصراخ من الألم والعذاب بعد محاولات كثيرة فاشلة لتركيب الكانيولا، لم تعد أوردته صحيحة وكلها ضعيفة أرادوا أن يحاولوا مع أوردة الساق ولكنه رفض رفضًا قاطعًا ودعا الله وهو يبكي ويتوسل إليه أن يرحم ضعفه ويجيره من هذا العذاب الأليم، تركوه ليرتاح قليلًا ثم أعادوا المحاولات ونجحت هذه المرة بفضل الله، لكن الوريد لم يتحمل بعد ساعات قليلة واضطروا لتغييره وعاش نفس اللحظات الأليمة مرة أخرى، وتكرر الحال طوال فترة الجرعة عدة مرات في اليوم حتى انتهت الجرعة بفضل الله بعد عناء وعذاب فعاد للمنزل قبل العيد.
يوم العيد كان عمر يشعر بإعياء شديد وشعر بارتفاع درجة الحرارة في جسمه ولكنه لم يخبر أحدًا فاليوم يوم عيد وقد انتهت الجرعات سيتحمل قليلًا وسيصبح بخير هكذا حدثته نفسه وأقنعها بضرورة كتمان الامر، اجتمعت عائلته وكانوا سعداء لانتهاء العلاج فكره أن يفسد فرحتهم ولكنه لا يستطيع أن يتكلم من الألم والإعياء، شعر بكل خلية في جسمه تؤلمه، عيناه وحلقه وفمه ورأسه ومفاصل جسمه كلها، أخبر حمزة بما يحدث له وأخبر والداه فهرعوا إلى المركز الطبي مساء يوم العيد، كانت التحاليل كلها كارثة، لا كرات دم بيضاء تقريبًا، أخبر الطبيب والديه أنه قد يفارق الحياة في أي لحظة ولكنهم لم يخبروه بذلك، فكان كلما أغمض عينه أيقظته أُمه بفزع وكلما استيقظ تسأله بارتباك عن أي شيء، هل يريد ماء؟! هل أحضر شيء؟! مرتاح؟! كانت تسأله أي سؤال لتتأكد أنه لا يزال على قيد الحياة.

عاد إلى المنزل بفضل الله وكانت سعادته لا توصف، استمر في العلاج الطبيعي وأنهى دراسته ونجح بفضل من الله ومساندة زملائه وأصدقائه له وبالأخص حمزة وعائشة، أحس عمر بالتعب عدة مرات بعد ذلك وسقط مغشيًا عليه ولكن لم تحدث له مضاعفات، استمر في المتابعة وبفضل الله ومنه كانت النتائج طيبة، وبعد فترة من الزمن تحسنت الحالة الصحية لعمر كثيرًا وزاد وزنه ونما شعره وعادت السعادة له ولأهل بيته وحمزة وعائشة، حمزة الذي عندما رأى شعره ينمو يومًا بعد يوم كان يبكي فرحًا وأصبح كلما يراه يلعب في شعره بيده مثلما كان يفعل معه قبل مرضه، أما عمر فقد استراح كثيرًا فلا كيماوي ولا علاج طبيعي ولا كانيولا ولا ذهاب إلى المركز، انتهى كل شيء، أصبحت الدنيا عنده لها مذاقًا وطعمًا آخر، أصبح يحب الدنيا ويحب كل ما فيها بعدما كرهها وكره كل ما فيها، تذكر ذات يوم فجأة أنه لم يخطر بباله أبدًا أنه قد يموت من المرض، كان يقينه بالله كبيرًا وبنعمة منه وفضل قد ألهمه الله اليقين وحسن الظن به، وكان من نتائج ذلك أنه قويت له العزيمة والإرادة، وكذلك علم مؤخرًا أن كثيرًا من الأطباء كانوا يعتبرون حالته متأخرة وأنه لم يصمد أمام المرض والكيماوي ونسوا قول الله تعالى: "وإذا مرضت فهو يشفين". وقوله تعالى: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون". وقوله تعالى: "أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء". ما أجمل تلك اللحظات التي كان يفر بها إلى ربه ويعلم أنه وحده هو مفرج الكرب ومزيل الهم والغم، وما أجمل الفرحة إذا نزل الفرج بعد شدة، وما أحلى من ترديده لهذه الآيات: "وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون".

مما لا شك فيه أن من بعد مساندة حمزة وعائشة لعمر في محنته ومرضه قَويت العلاقة بينهم وارتفعت حتى أصبحت تُحلق في السماء مثل الطير، فكانا لا يفترقان حتى في السفر، كانوا يسافرون مع بعضهم البعض كأنهم جسد متلاصق فكان لا يرى أحد حمزة إلا وكان عمر ملازمًا له، وكان لا يرى أحد عمر إلا وكان حمزة مرافقًا له، حتى ضرب الناس المثل بأنهم كرسول الله وأبي بكر.
وفي يوم كان حمزة وعمر وعائشة يجلسون في الكافيه الذي كان بجانب الكلية، أقبل شاب ضخم يعرفانه جيدًا فاستأذن في أن يأخذ حمزة ليتكلم معه في موضوع ما لن يتعدى الخمس دقائق، فلبى له طلبه وقام معه، وفي هذه اللحظات التفت عمر إلى عائشة وقال لها:
ألا تعلمين من هذا الذي قام إليه ليتحدث معه؟
عائشة:
من؟
عمر:
هذا طارق، ألا تتذكرين اليوم الذي تشاجر فيه مع أحد الأشخاص في المدرسة مدافعًا عني، وكان سبب هذه المشاجرة أن هذا الشخص قد عايرني بمرضي ولا يريدني أن أرسم في مكانه الذي يجلس فيه.
عائشة بعد تفكير:
نعم نعم تذكرت ولكن ماذا يريد منه؟! لم أره في يوم يحتك به!
عمر باستغراب:
لا أدري!
وبعد لحظات قليلة أقبل حمزة عليهم بغير الوجه الذي ذهب به، وسحب كرسي وجلس معهم منكس الرأس وبه من الوجوم ما به، جعل يخطف نظرات لكل منهما ويتابعهما ويتابع حركاتهما وكلامهما مع بعضهما البعض، مستحيل

أن يفعل عمر هذا، مستحيل أن تفعل عائشة هذا، هو يعرفهما جيدًا، ليست أخلاقهما هذه، ظل الشيطان يراوده ويقول له هيت لك، هلم إليّ، أُنظر إلى كلامهما مع بعضهما البعض وحركاتهما، أُنظر كيف يقترب منها ويجلس بجوارها دائمًا، أُنظر إلى مُزاحهما مع بعضهما البعض، أُنظر إلى ضحكاتهما وكيف يضحكان؟! أُنظر إلى نظراته إليها وكأنه يهيم بها، أنت الذي سمحت لهما بكل هذا، أنت الذي وضعت الثقة فيه حتى أصبحت عمياء، لو كنت منعته أن يجلس معها، لو كنت منعته أن يدخل بيتك، لما حدث كل هذا، لم تتركه وساوس الشيطان، كان ينهش رأسه ويخبره أن الذي أخبرك به طارق صحيح.

خطف كل من عمر وعائشة نظرات لبعضهما بعض حائرين متسائلين ما الذي أصابه، ماذا قال له هذا الطارق؟! حتى التفت عمر إليه وقال له متسائلًا:

ما بك؟! أحدث شيء؟!

أفاق من شروده ونظر إليه وقال له:

لا شيء، طارق كان يريد مني أن أعطيه كشكول المحاضرات ليذاكر منه.

ثم استطرد قائلًا محاولًا تغير الموضوع والوساوس التي تراوده مبتسمًا ورافعًا بصره إليهما:

لي عندكم مفاجأة، من الممكن أن أقرأ فاتحة بعد يومين.

فتح كل منهما فاه من الدهشة، أما عائشة فكأن أحدًا لطمها على وجهها من هول المفاجأة وهتف الاثنان بصوت واحد:

ماذا؟!

رفع حاجبه مستغربًا ردة فعلهما وقال وهو ناظرٌ إليهما:

ما بكم؟! ألستما سعداء بهذا الخبر؟

عمر بارتباك:

لا، لا، سعداء بالطبع ولكنك فاجأتنا وصدمتنا، لم تتحدث معي قبل ذلك في ذلك الموضوع أبدًا.

حمزة ضاحكًا:

أعلم ذلك ولكن والدتي قد اقترحت عليّ هذا الموضوع من أسبوع مضى وقلت

لا بأس، توقعت أن هذا الحديث سيأخذ وقت، ولكن والدتي ما شاء الله لا قوة إلا بالله أخبرتني بالأمس أنها قد وجدت الفتاة التي وجدت بها ضالتها، وأننا سنذهب بعد يومين أو ثلاثة لكي نراها.
قالت عائشة وهي متفاجئة:
لكي تراها، الله الله، بهذه السرعة، هذا الموضوع مرتب له من قبل.
ثم قالت مازحة:
هذا أمر دبر بليل.
ضحك الثلاثة من جملتها ثم رمقته وقالت له مبستمة:
أسأل الله أن يتم لك هذا الموضوع بخير وأن أراك عريسًا في المستقبل القريب.
حمزة:
وأنا أتمنى لكِ ذلك.
ثم التفت إلى عمر وقال له بمرح:
وأتمنى لك ذلك أيها البطل.
عمر مبتسمًا:
إن شاء الله، أتمنى أن أفرح بك أنت أولًا، وبهذه المناسبة السعيدة سنذهب في المساء إلى هذا المطعم الذي تعرفه وأعرفه وتعزمني على العشاء.
حمزة مازحًا:
أنا أعلم أن قراءة الفاتحة هذه سوف تأتي بالخسائر عليّ، أنا أعلم الناس بك، منذ صغرك وأنت هكذا، لم تتغير.
عمر:
ما هذا، أأنت مستخسر في هذه العزومة؟!
ربت حمزة على كتف عمر وقال مبتسمًا:
لا بأس يا صديقي، لو تم هذا الموضوع سأذهب بك إلى أكبر مطعم في هذه البلدة وتختار ما تشاء.
مر الوقت على الثلاثة سريعًا وكان حمزة سعيدًا يمزح ويضحك، صحيح كانت هذه هي عادته لكن اليوم كان يمزح ويضحك بشكل مبالغ فيه، أما عمر فكان

عكسه تمامًا خفق قلبه خفقاً شعر بعدها أنه سيفقده في يوم من الأيام، سيفقد أخاه وصديقه ورفيق دربه بسبب موقف ما.
وبعد يومين ذهب طارق إلى الجامعة ولكنه لم يحضر المحاضرات بها فلم يشاهده أحد ذهب ليجلس في الكافيه الذي كان بجوارها كعادته وبينما كان يمشي في الطريق وهو مشغولًا في هاتفه اصطدم بشخص كان يستند على سيارته، رفع نظره إليه فوجده شابًا من سنه، تأسف له مرتبكًا بعد أن التقط أدواته من على الأرض عندما اصطدم به، حاول هذا الشاب أن يخفف عنه، وقف الاثنان مع بعضهما، عرف هذا الشاب نفسه له، إنه أحمد عبد الرحيم، شاب طويل، ممتلئ الجسم، عيناه ملونتان وتمتلكهما الغلظة، ظلا يتحدثان ويتكلمان مع بعضهما وطارق يضع يده على خده هو يفكر تارة ويشرد للحظات تارة ويرفع حاجبه مندهشًا تارة أخرى من أسئلته وكلامه، وبعد دقائق من حديثهما مع بعضهما ركب معه في سيارته وقبل أن يفتح الباب ويركب معه ابتسم ابتسامة خبيثة وهو يقول في نفسه لقد حان الوقت.
وبعد أيام أنهى عمر وعائشة محاضرتهما كعادتهما، جلسا في الكافيه، لم يحضر حمزة هذا اليوم معهما، وفي هذه اللحظات جاء حمزة إلى الجامعة وجبال من الغضب في رأسه، ظل يبحث عن عمر في جنون كأنه أسد يبحث عن فرسيته ليأكلها وما يُبقي فيها ذرة من لحم، ذهب إلى الكافيه فوجده جالسًا مع أخته يتناقشان في هذه المحاضرة الصعبة التي ألقاها الدكتور، دخل إلى الكافيه ووقف أمامهما، رفع الاثنان بصرهما إليه مبتسمين وقبل أن يتفوه عمر بكلمه وهو يسلم عليه، التقطه من ثيابه ومسكه وصدمه في الحائط بقوة صارخًا في وجهه، كان عمر مصدومًا، أهذا هو حمزة؟! جرى كل من الكافيه وكان عددهم قليل عليه ليسحبوه فسحبوه سحبًا شديدًا منه، أحس عمر أنهم أوجعوه وكان يريد إبعاده عنهم وكان يحاول أن يحميه بيديه، كان خائفًا عليه، ما أجملك يا عمر وما أحلمك! أما هو فقد صار جسمه أحمر من سحبهم الشديد، وأما عائشة فبعد أن حدث أمامها كل هذا حملت عيناها تعبيرًا لو أتى كل عظماء الفن ليرسموه لعجزوا، تصرخ فيهما أن يهدآ ودموعها تذرف على وجنتيها، كان عمر

لا يدري لماذا حدث كل هذا؟! أبعد كل من الكافيه حمزة حتى أصبح كل واحد منهما في جهة حتى جاء زملائهما في الكلية مهرولين فزعين حتى دخل عليهم ياسر زميلهم الذي يحمل بشرة فاتحة نوعًا ما وله شعر أسود وعينين خضراوتين، اقترب من حمزة وقال له بعصبية:
ماذا ألم بك وماذا حدث لكل هذا؟
رد عليه بغضب شديد:
اسأل هذا الجبان الذي أمامك ماذا فعل؟
قال عمر في نفسه أهذا هو صوته، يا ليته ما تكلم، بدأ عمر في هذا الوقت يستوعب الموقف، هو أمامه في حالة لم يره فيها أبدًا، كان وجهه محمرًا، وكان الكلام يخرج مقطعًا منه بسبب تنفسه السريع، كان حمزة يحاول أن يتخلص من هؤلاء الذين أمسكوه ليذهب إليه ويعطيه درسًا لن ينساه.
أوصلت لهذا الحد يا حمزة، تريد أن ترفع يدك عليه، يدك التي كان تدافع عنه كلما اقترب منه شخص ليتشاجر معه، يدك التي حملته في يوم وهو مغشيًا عليه في فترة مرضه مهرولًا به إلى المستشفى، بعد كل هذه العشرة والصداقة!
قال له عمر وهو يحاول أن يتقرب منه ليهدئه: ماذا فعلت لتفعل في كل هذا؟! قص عليّ ما حدث، أنا أخوك.
حاول أن يتهجم عليه ولكن زملائه أبعدوه عنه وقال له حانقًا:
لا تقل هذا ولا أريد أن اسمعها منك ثانيةً لأني لست بأخيك ولا أتشرف أن تكون أخي، والحديث الذي وصلني عنك تأكدت من أنه صحيح بعد فعلتك التي فعلتها، من الآن وصاعدًا ليست لك علاقة بي وليست لك علاقة بأختي عائشة، ولا أراك ثانية تجلس معها، هل فهمت قولي؟
بعد هذه الكلمات التي تحمل السم خاف عمر عليه لأنه كان يصرخ وصوته كانت تخالطه البحة من شدة الصراخ، وهو يمسك رأسه بين يديه بعصبية، وبعد أن سمع ياسر هذه الكلمات التي لم يتوقع أن تخرج منه نظر إليه وقال له:
ما هذا الهراء الذي تقوله؟! ألا تعلم لمن توجه حديثك بهذه الكلمات الفارغة؟! إنه عمر، عمر يا حمزة، نريد أن نعلم لماذا حدث كل هذا؟!

صرخ حمزة فيهم قائلًا:
أنتم لا تتدخلون.
ورجع يرمقه ويضرب على صدره بقهر واضح وقال له حانقًا:
سأعلمك ماذا فعلت أيها الحقير، منذ أيام جائك إلى هنا في الكلية أخو الفتاة التي كنت سأتقدم إليها وسألك عن أخلاقي، فأخبرته أني سيءُ الخلق وأني أُدخن وأني زير نساء وأني لا أُصلح أن أكون زوجًا لأخته، وأخبرته أيضًا أنه سيندم أشد الندم إذا وافق أن يزوجني أخته.
ثم سكت لثوانٍ معدودة ورمقه بنظرة حادة وقال له بغضب:
أنا سيءُ الخلق يا حثالة؟!
اتسعت عيناه في ذهول من الكلام الذي تفوه به حتى كادت أن تخرج من مكانها حتى رد عليه قائلًا:
حمزة، أنا لم أقل أبدًا هذا الكلام في حقك.
ازدادت ثورته وقام يتحرك مثل المجنون وصرخ فيه قائلًا:
لا تكذب لا تكذب، لا أريد أن أسمع لك صوتًا، انتهى الموضوع وأهل الفتاة رفضوني بسببك. بدأت نبرة صوته تخف عن حدتها وقال له:
لكن لماذا فعلت كل هذا؟! لماذا يا عمر؟! أنت وضعتني في أصعب موقف في حياتي، أمن المعقول أنك استخسرت السعادة التي كنت أعيشها ولم تتحمل فكرة أنني سأبعد عنك! أنت يا عمر؟! أنت الذي تفعل في كل هذه الأشياء؟! أهذا هو جزائي أني اعتبرتك صديقي وأخي.
ثم أردف كلامه قائلًا بعد أن رجعت النبرة العالية في صوته:
ما توقعتك أبدًا أن تكون هكذا، أنت إنسان أناني، ألا تعرف معنى كلمة أناني؟
بعد أن سمع عمر بهذه الكلمة حاول بقدر المستطاع أن يتمالك نفسه وأن يرد عليه بصوت هادئ وقال له:
لا تكمل، لا تقول كلام ستندم عليه بعد حين، يا حمزة لا تظلمني أنا أخوك.
ضحك حمزة بسخرية ثم قال:
أندم! أندم على ماذا؟! على العشرة الطويلة الطيبة التي كانت بيننا أم أندم على

السنوات الطويلة التي ضاعت هباءً على شخص مثلك، أم أندم على الإنسان الذي توقعته صديقي وقد خاب ظني فيه.
وقبل أن يكمل كلمته هذه المرة تخلص عمر من أيدي الأشخاص الذين كانوا يمسكونه وهجم عليه وألقاه على الأرض، رفع يده ولكنها وقفت ووقفت كل عضلة فيها، ترجف يده رجفة شديدة لأن الذي كان تحته هو حمزة، حمزة الغالي، حمزة الرفيق، رباه ما الذي يفعله عمر؟! تراه يمد يده عليه.
صرخ في وجهه وقال:
اسمع يا حمزة، كل الكلام الذي قلته من الممكن أن أتغاضى عنه بسبب المعزة التي أكنها لك وتحتل قلبي احتلالًا، ولأني متأكد أنه يوجد سوء تفاهم في الموضوع، أما إنك تقول كل الذي بيننا ما كان شيئًا فهذا الذي لن أسمح لك أن تتفوه به، أسمعت؟
تخلص من يده الذي تمسك به ودفعه من فوقه وأصبح عمر هو الذي في الأرض وهو واقفًا فوقه وقال له بحزم:
اسمع يا عمر، هي كلمة واحدة أقولها لك، لا أريد أن أراك، لا أريد أن أسمع صوتك، وكل الذي كان بيننا انتهى وتبخر، الإنسان المخادع الذي لا يقدر الصداقة ولا يعطيها حقها ليس له مكان في حياتي.
انتشر الهدوء في المكان وكان أصدقاؤهما يرمقونهما مصدومين حتى قطع هذا الهدوء صرخات عائشة من هول ما رأت، وضعت يدها على فمها في فزع بعد الكلمة الأخيرة التي قالها حمزة وهرولت إلى خارج الكافيه لأنها لا تريد أن ترى مزيدًا من هذا العبث، وأثناء مرورها في الشارع المجاور نظر الاثنان إليها وهي تبتعد وتهرول بعيدًا ودون ذرة توقع كان يرون عائشة ترتفع ثم تهبط، لقد صدمتها السيارة، صرخا بأعلى صوتهما: عائشة!
هرولوا إليها وحملوها إلى سيارة توقفت لهم ثم انطلقت إلى أقرب مستشفى للمكان الذي هم فيه، حاولوا أن يسعفوها ولكن ذهبت محاولاتهم دون فائدة حتى وصلوا إلى المستشفى.

فتحت عينيها وهي راقدة على سرير المستشفى، رفعت يدها لتتحسس مواضع الألم فلمست أصابعها الضمادات التي كانت تغطي وجها، سمعت صوت حمزة وهو ينادي على والدته بفرح:
يا أمي، لقد استيقظت عائشة.
هرول الجميع داخل غرفتها ليطمئنوا عليها فقالت بدهشة:
أين أنا؟ ولماذا هذه الظلمة؟!
حاولت أن تنهض من فراشها لكن الألم هاجم مؤخرة رأسها التي وقعت عليها؛ فعادت ترقد كما كانت، دخل عليهم الطبيب الذي يشرف على حالتها وقال بصوت مسموع:
الحمد لله على سلامتك يا آنسة عائشة، خيرٌ إن شاء الله.
حاولت أن تسألهم عن الظلام لكن أُمها حكت لها كل شيء بالتفصيل، فروادها تفكير أن مركز الإبصار يقع في مؤخرة الرأس في نفس المنطقة التي اصطدمت رأسها بالأرض عندما صدمتها السيارة، ربما الكهرباء مقطوعة في المستشفى، كان صدرها منقبضًا وعقلها الباطن يقول لها: أنت لن تري مرة أخرى.
شعرت بحركة مرتبكة في غرفتها فسألها الطبيب قلقًا:
في البداية لاحظت أنك لا تنظري تجاه أصواتنا، هل ترين الأشياء واضحة أمامك؟
فتح كل من في الغرفة فاه من الذهول، فهرول الطبيب مبتعدًا بينما اقترب حمزة من أخته وقال لها في ارتباك وتوتر:
عائشة، عائشة، انظري ليدي، هل ترينها وهي تتحرك أمامك؟
قالت عائشة مذهولة:
ماذا حدث لي؟! ماذا حدث لي؟! هل أصبحت عمياء؟ أنا لا أرى!
أسرعت إليها والدتها وأحاطتها بذراعيها فانفجرت في البكاء، فقال لها عمر ونفسه يزداد بسرعة في محاولة منه لطمئنتها:

لا تقلقي، لا تقلقي، لا شيء، سوف يقوم الطبيب بكل شيء، بالتأكيد هناك شيء ما تحرك من مكانه بسبب الصدمة وسيرجعوه إلى مكانه، لا تقلقي.
وبالفعل جاء طبيب العيون المتخصص في هذه الحالات إلى غرفتها، امتدت أصابع تفحص موضع الإصابه في مؤخرة الرأس وأصابع تفتح حدقة العين وبعد أن فحصوا تنهد الطبيب مستسلمًا وقال في استسلام:
عائشة أصبحت كفيفة بسبب هذه الصدمة التي صُدمت بها رأسها.
هذا ما توقعوه من بعد ما حدث منذ قليل منها، انهار الكل في البكاء فرفع حمزة رأسه مسلمًا أمره إلى ربه ودموعه تغرق في عينيه:
إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتا واخلف لنا خيرًا منها.

مضى عمر وهو لا يشعر بمن حوله يسير في الطريق شاردًا على قدميه وكأنه نائم لا يرى ما أمامه لا يدري كم مر عليه من وقت ربما ساعة أو ساعتين، يشعر بنار متقدة تغلي في صدره، نظر إلى حاله والقميص الذي يرتديه فكان جيبه وأكثر من زر فيه ممزقًا، بينما التراب يغطي أجزاء لا بأس بها من سرواله، كل هذه التفاصيل لم يلاحظها سوى حينما عاد ليلًا من المستشفى إلى منزله.

كانت الأفكار تتقافز في ذهنه، أسئلة غير مكتملة ترواده كثيرًا، كيف؟ ولماذا؟ كيف تطاوعه نفسه أن يفعل بي هذا؟ شعر بالاختناق كأنه لا يوجد بهذه الأرض هواء يمكن أن يتنفسه، عيناه ملتهبتان بدموع حاول أن يحبسها كي لا تخرج ولكن هيهات هيهات فقد انفجر في البكاء، وظل يبكي بحرقة حتى استلقى على فراشه وأخذ يسترجع الذي صار مذ سويعات، مستحيل أن يفعل معي حمزة هذا ويتكلم عني هذا الكلام بدون حتى أن يفكر فيه، وليته اكتفى بذلك ولكنه قال هذا الكلام أمام العالم أجمعه، تمنى أن الذي صار اليوم يكون حلمًا لأن الذي رأه اليوم إنسان ما قابله في يوم قط، ولكن رغم الإهانة التي كان يشعر بها إلا أنه ألقى مشاعره وراء ظهره ووضعها تحت قدمه وأمسك هاتفه واتصل به ليفهمه ويخبره أنه ما تفوه بهذا الكلام أبدًا، لكنه للأسف الشديد لم يرد عليه وأغلق هاتفه.

عاد حمزة إلى بيته بعد أن ترك والده ووالدته في المستشفى ليجلسوا مع أخته، عاد مهمومًا منكوبًا على وجهه، لم يصدق إلى الآن ما فعله عمر وما قاله، أخذ دشًا ساخنًا ثم ذهب إلى فراشه وجلس جلسة تدل على حاله، جلس ضامًا ركبتيه إلى صدره ويداه حول ساقيه في وضع كئيب، هتف به قلبه وأخبره أنه على خطأ وأن هذا من عمل الشيطان، رجع به قلبه إلى الوراء وتذكر أكثر موقف لم ينسه له، الموقف الذي دافع عنه بنفسه من هذا الطارق الذي عايره بمرضه، هتف به عقله هذه المرة وأخبره أن طارق هذا وراء هذه المشكلة التي حدثت

بينه وعمر، استمع لعقله أكثر وبدأ يفكر، طارق لم يكن موجودًا في الجامعة في اليوم الذي جاء فيه أحمد إلى الجامعة، لأنه سأل بعض الأشخاص وأخبروه أنهم لم يشاهدوا طارق في هذا اليوم، أما عمر كان موجودًا في الكلية، رفع بصره إلى السماء مناجيًا ربه: "يا إلهي دلني على خيط رفيع حتى لا أظلم أحد، دلني على الحقيقة حتى لا أخذ أحد بذنب أحد، أرجوك وأسألك أن تدلني على الحقيقة، الحقيقة التي أرجو أن أكون فيها أنا المخطئ وعمر هو المصيب لأني اشتقت إليه! سأفعل أي شيء لأعرف من الصادق ومن الكاذب.

اشتاق حمزة إلى عمر ورجعت به الذكريات إلى الخلف، أمسك هاتفه وجعل يقلب الصور التي كانت تجمعه به، صورة بعد صورة، أعجبه كيف كان هو وعمر قريبين من بعضهما البعض فلا يظهر أحد منهما في مكان إلا والآخر ملازمًا له، كان معظم الوقت يطالع فيه وعينه ترتكز عليه، لا يرى شيئًا آخر غيره.

حقًا ما أعجبكما أنتما الاثنين كل منكما في بيته حزين ولكن قلوبكما تجلس معًا بكل ود وحب وتتخاطب مع بعضها بكل نقاء وصفاء.

كان يقلب الصور وهو يبتسم ابتسامة خفيفة حتى أوقفه مقطع من الفيديو كان له مع عمر، كان يصوره صديقهما ياسر، فكان عمر يقول فيه وهو يضع يده على صدره متكئًا بذراعه على كتف حمزة: هذا الولد الذي تشاهدونه الآن وأشار بيده إلى حمزة عرفته مذ كنا صغارًا وتربينا سويًا حتى كبرنا وترعرعنا، هو عزيز وغالٍ ولا أبدله بكنوز الأرض.

فرد عليه ياسر مازحًا: أنا لا أقدر على هذا الكلام الرائع، هذا الذي تمدحه لم يلتفت إليك حتى وأنت تطلق هذا الغزل فيه.

تجمعت الدموع في عينيه وهو يستمع لكلامه وهاجمته مشاعر متضاربة حتى قال في نفسه: كلام رائع لكن ما طبقته يا عمر بالذي فعلته اليوم.

أغلق هاتفه ووضعه جانبًا واستلقى لينام أو بالأصح ليحاول أن ينام.

نزل حمزة من بيته إلى كليته بعد أن مرت خمسة أيام لم يذهب فيهم إلى الكلية ولم ير فيها عمر، رباه ما الذي يحدث؟! الاثنان اللذان كان يضرب الناس المثل

بهم في الصداقة والأخوة والمحبة، الاثنان اللذان كان يضرب الناس المثل بهم بأنهما جسد واحد وروح واحدة لم ينظر أحدهما إلى وجه الآخر لمدة خمسة أيام! بعدما أنهى محاضراته توجه إلى الكافيه وجلس فيه، كان يوجد في الكافيه طارق فلما رآه ذهب إليه واستأذنه في أن يجلس معه فسمح له بذلك، سأله طارق عن أحواله ثم سأله عن عائشة وكيف أصبحت فما أن سمع اسم أخته حتى قفزت إلى رأسه فكرة، سيعلم من الصادق ومن الكاذب الآن.

التفت إليه وقال له:

ألا تعلم أن عائشة قد رجع إليها بصرها بالأمس وأن أحمد أخا الفتاة التي كنت سأتقدم إليها جاء إلى بيتنا وتقدم إليها.

فتح فاه من الذهول وقال:

ماذا؟!

ثم أردف بصوت مرتجف:

كيف ذلك؟! لقد جاء أحمد إلى هنا وسألني عن...

شرد فيه للحظات بنظرات حادة وقوية ولم تتحرك عينه عن وجهه ثم عقد ذراعيه وأومأ برأسه وقال له:

عني، أكملها.

ثم سأله مستهزئًا:

وماذا قلت له أيها الفصيح؟

لم يتحمل نظراته الحادة فقد ظهر كل شيء فلملم وجمع أدواته ثم قام من مكانه وما أن مشى خطوة واحدة حتى أمسكه من يده وضغط عليها وقال له بقوة:

إلى أين؟ اجلس، أنا أتحدث معك.

جلس في مكانه مرتبكًا فالتفت إليه وقال:

لماذا يا طارق؟ لماذا فعلت هذا؟ لماذا أوقعت بيني وصديقي وأخي.

طارق:

لأني لم أر في الدنيا مثليكما، لا تفترقان أبدًا، لكما أصدقاء من كل جنس ولون وأنا

لا يوجد لدي أصدقاء، كل يوم أسأل نفسي سؤالًا، لماذا أنتما أفضل مني؟ عندما يقع شخص في مشكلة أو استشارة لماذا يذهب إليكما ويستشيركما ولا يذهب إليّ، لماذا عندما يجلس معك أحد لم يعرفك ولم تعرفه ينبهر بك ويعظمك، لماذا أنت أفضل مني يا حمزة؟

نظر في عينيه ثم لاحظ شيئًا في نظرته، لم تكن نظرته تحمل معنى الخوف والارتباك التي كان بها منذ قليل، وإنما نظرته الآن تحمل معنى آخر، معنى يحبه الشيطان ويعشقه، معنى كان السبب في أن الشيطان لم يسجد لآدم فأصبح يتمنى أن يرى الإنسان يذوب في هذا المعنى في كل وقت وحين، ليصيبه ما أصابه وهو أن يطرد من رحمة الله فيصبحا متساويين، تحمل معنى كان السبب في قتل قابيل لأخيه هابيل، تحمل معنى كان السبب في عدم اتباع عبد الله بن أبي بن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مصيره في الدرك الأسفل من النار، فهل عرفتم النظرة التي تحمل هذا المعنى؟! إنها نظرة الحقد.

ثم استطرد كلامه قائلًا:

وفعلت هذا أيضًا لأني معجب بعائشة ومعجب بشخصيتها، وكنت أريد أن أتقدم لها ولكني لاحظت أنها منجذبة لعمر وهو منجذب لها، فأردت أن أوقع وأُحدث مشاكل بينكما لتنجذب أنت لي وتحبني وتكرهه وتفر منه لتوافق على هذا الموضوع.

قبض حمزة يده، يريد أن يلكمه في وجهه ولكنه تمالك وكظم غيظه، زفر في ضيق ثم التفت إليه وقال:

أنا أخبرك الآن لماذا كل هذا، لماذا ينجذب إلينا الناس ويفرون منك.

ثم أردف كلامه قائلًا له:

الناس لديها مشاكلها، وكل شخص في هذه الدنيا منشغل في نفسه، ولا أحد تهمه مشاكلك، فإذا أردت محبة الناس انس نفسك قليلًا وفكر فيهم، وفكر كيف تساعدهم في حياتهم بقدر ما تستطيع، هل علمت الآن؟

قام من مكانه وتركه وحيدًا شاردًا مذهولًا ثم توجه إلى صديقه ياسر وقص عليه ما حدث، فأخبره قبل ذلك أنه سيندم على الذي فعله مع عمر ولكن أخبره أيضًا

أنه سوف يتصرف في هذا الموضوع وستعود المياه إلى مجاريها، أمسك هاتفه ثم اتصل بعمر وما أن أجابه حتى قال:
أين أنت؟ لمَ كل هذه الغيبة؟ أنا أعلم لماذا لا تأتي، لأن أخوك ورفيقك لم يأت أيضًا.
عمر:
أنا متأسف، ما أعتقد أن آتي إلى الكلية هذه الأيام لأن نفسيتي سيئة جدًا.
ياسر:
إن لم توجد مشكلة، ما رأيك أن آتي إلى بيتك لأتحدث معك.
عمر مستغربًا:
أهلًا ومرحبًا بك في أي وقت البيت بيتك.
ثم أنهى مكالمته معه منتظر مجيئه في أي وقت، وبعد دقائق معدودة اتصل حمزة به، لم يصدق عينيه، ما هذا؟! ظل كثيرًا يطالع الاسم على هاتفه ليتأكد كثيرًا من أنه هو لكن من المؤسف أنه لم يرد عليه هاتفه قلبه: لماذا فعلت هذا؟ فرد عليه: لا أدري، أظن أنها ردة فعل طبيعية بعد الذي صار بيننا وما أعتقد أن أحدًا يلومني عندما لم أرد عليه، من الممكن أن أذكره بأنّ لي فضل عليه وهذا ما أكرهه، استمر حمزة يتصل به ولا يرد عليه، أرسل له بعض الرسائل يطلب منه أن يسامحه لأنه اكتشف أنه أخطأ في حقه.
بعد يومين اتصل الأستاذ عبد الرحمن والد حمزة بعمر، كان يحترمه كثيرًا ويعتبره الأب الثاني له، ولا ينسى مساندته له في مرضه وكان يقول دائمًا عنه: إنه أبي بعد أبي، هو الذي رباني أنا وحمزة.
رد عليه وهو يعرف سبب المكالمة:
مرحبًا يا أستاذ عبد الرحمن.
أ/ عبد الرحمن:
كيف حالك يا بني وما أخبارك وأخبار الأهل؟
عمر:
الحمد لله رب العالمين بخير حال.

أ/ عبد الرحمن:
يا بني أنا اتصل بك بسبب موضوعك أنت وحمزة، وأعلم أنك تريد أن لا يتدخل أحد في هذا الموضوع حتى هو لا يريد أن يتكلم، أنا علمت بالذي حدث من أصدقائه وفكرت كثيرًا قبل أن أكلمك، ولكني ما استطعت أن أرى حالة ابنى هكذا ولا أكلمك، مذ عرف الحقيقة وإنك ما ترد على اتصالاته وهو ليس حمزة الذي نعرفه لا يذهب ولا يجيء، منكمش في غرفته كئيبًا، لا يأكل ولا يشرب إلا قليلًا، حزنت والدته وضاق صدرها عليه وتقول دائمًا: أين عمر؟ ما أحد يستطيع أن يخرجه من هذه المرحلة إلا هو.
انقبض قلبه وقال:
والذي خلق السماوات بدون عمد أنا مقدر موقفك وخوفك عليه، وأخر شيء أتمناه أن أرى الأستاذة مريم يضيق صدرها وهي كما تعلم أمي الثانية، ولكن أنا ما أخطأت معه أبدًا هو الذي جاء ونسف كل شيء بيننا في لحظة غضب كما علمت من أصدقائنا بالذي حدث، أسألك بالله أترضى بهذه الطريقة التي عاملني بها؟ واستطاع أن يقول عني كلام يجرح القلب بدون أن يراعي أي شيء كان بيننا ويصدق كذبة دون حتى أن يعطيني فرصة أُدافع بها عن نفسي، هو ظلمني وكسرني.
الغضب، ما أسوأه من صفة، كم هدم من بيوت وكم فرق من قلوب وكم قطع من أواصر وكم أنهى من علاقات تحمل حب ومودات.
تنهد الأستاذ عبد الرحمن وقال:
لك الحق أن تفعل ما تشاء ولكن ألا تسامحه؟
سكت لحظات معدودة وقال مبتسمًا متذكرًا مواقفه معه:
في الحقيقة أنا مسامحه من أول ما رأيت اسمه على هاتفي لأنه غالٍ عندي، ولكن أُريد أن أعلمه أنه عندما يغضب ويثور ويشك في أحد يجب أن يتأكد أولًا قبل أن يثور ويغضب عليه حتى لا يظلمه.
أ/ عبد الرحمن بنبرة هادئة:
على أية حال أنتم رجال وتعلمون ماذا تفعلون ولا أستطيع أن ألومك على شيء

ولكن هذا ابني وبقدر المستطاع أحاول أن أفعل أي شيء لأُصلح بينكما.
ثم تنهد وأردف قائلًا:
هل تريد شيء مني يا بني؟
عمر:
أوصل سلامي لعائشة ولكل من في البيت.
أ/ عبد الرحمن:
سأفعل.
في اليوم التالي ذهب حمزة إلى بيت عمر فذهبت والدته إلى غرفته لتخبره أنه على الباب ويريد مقابلته، هذا الشيء كان يتوقعه، فقال: قولي له أني نائم. قالها وهو يسحب نفسه تحت الغطاء، استسلمت والدته له وذهبت إليه وأخبرته أنه نائم، وما أن سمع غلق الباب حتى قفز من على فراشه وذهب للشُباك ليراه، فرآه واقفًا تحت بيته حزين، لقد رآه بعد كل هذه الغيبة، تمنى أن يقفز من الشباك ويأخذه بين يديه ويبكي في حضنه ويقول لقد أوحشتني يا حمزة، ظل يمر على بيته يوميًا بالصباح والمساء وهو يتهرب منه ويصرفه، أما هاتفه فلا يصمت سواء من مكالماته أو من الأشخاص الذين يريدون الصلح بينهما أو من رسائل طوال الوقت، ومن ضمن هذه الرسائل التي تأثر بها عمر.
لأن أنظر إلى عينيك لحظة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها، لم كل هذا الجفاء؟! أريد أن أراك، فأنا أعرفك أكثر من أسرارك، أنا الذي أكوى بنار غيابك، فقل لي بعد هذا الفراق، ما هي أخر أخبارك؟
وما أن قرأ هذه الرسالة حتى رق قلبه وترقرقت عيناه من الدمع، وضع هاتفه في جيبه، ونزل من بيته يريد شراء بعض الطلبات التي طلبتها منه والدته فوجده منتظرًا أمام مدخل عمارته، فما أن وقعت عينه عليه حتى فر إلى بيته كأنه رأى شبحًا أمامه، وأغلق الباب وأسرع حمزة إلى بيته وظل يطرق الباب بعنف ويصرخ ويقول: افتح يا عمر أُريد أن أكلمك لا تفعل في كل هذا، يا عمر أنا آسف يا عمر والله آسف، أمن المعقول أني ما أوحشتك يا عمر؟
كان كل مرة ينادي فيها اسمه يتألم ويتمزق قلبه، سمع اعتذاره وكأنه من طفل

صغير يظن أن الذي أمامه لا يسامحه، وبعد ثوانٍ سمع صوت جسمه ينسحب على بابه وكأنه وقع على الأرض، ركض إلى البابِ مسرعًا وفتحه وما أن لمحه حمزة حتى انكب في حضنه يبكي بكاءً شديدًا ويطلب منه السماح، انكب في حضنه وصوت المؤذن يؤذن لصلاة العشاء، الله أكبر الله أكبر، وكأنه يكبر فرحًا بعودتهما، رق له عمر رقة شديدة ولم يتركه من حضنه، كم هو دافئ وجميل، كم افتقدا لهذا الحضن أيامًا، لا، بل دهورًا وأعومًا، عندما احتضنه عادت إليهما الحياة فكأنما بُعثا من بعد مماتهما، عادت إليهما الحياة فكأنما الدم قد وصل إلى عروقهما ليبث فيهما الروح، عادت إليهما الحياة فكأنما شربا شربة ماء بعد ظمأ شديد في صحراء جرداء ظنا فيها أنها مكان حتفهما، عادت إليهما الحياة فكأنما قد تنفسا الأكسجين الذي انقطع لأيام وتنفسوه في حضن كل منهما، دخلا إلى بيته وطلب منه عمر أن يهدأ ويقوم ليتوضأ ليصليا صلاة العشاء.

انتهى المصلون من صلاة العشاء فاعتدل الإمام في جلسته وأصبح يراه كل من في المسجد فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم:

الحب ليس فقط هو علاقة بين الذكر والأنثى، وإنما هي أي علاقة تجمع كل شخص مع من يحب سواء ذكر مع ذكر أو أنثى مع أنثى، فعلاقة النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت من أجمل علاقات الأخوة، ليس من نفس الأم ولا نفس الأب وإنما المحبة والوفاء جمعتهم على الإخلاص والحب الجميل تحت اسم حب الله، فمن جزاء الأخوة في الله تعالى أن الله تعالى يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله إذ قال في الحديث القدسي: أين المتاحبون في جلالي، اليوم أُظلهم في ظلي يوم لا ظلي إلا ظلي.

بعد أن أطلق الإمام هذه الكلمات الرائعة نظرا إلى بعضهما البعض وابتسامة جميلة على وجه كل منهما والدموع تترقرق في عيونهما وأمسك كل واحد منهما بيد الآخر وهما جالسان.

ليست الأيدي هي التي تشابكت ولكن القلوب هي التي تعانقت.

قال قلب عمر لقلب حمزة:

أنا أحبك كحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر عندما قال لعمر بن الخطاب معاتبًا له بعد أن جاءه شاكيًا أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هلا تركتم لي صاحبي، عندما بعثني الله إليكم كذبتموني وصدقني أبو بكر، وحرمتموني وأعطاني أبو بكر، وطردتموني وواساني أبو بكر، فهل أنتم تاركون لي صاحبي! أحبك كحب رسول الله لأبي بكر عندما قال له يوم أحد عندما كان يريد أن يقاتل: لا تفجعنا بنفسك فأنت عندي بمنزلة سمعي وبصري.

فرد عليه قلب حمزة قائلًا لقلب عمر:

وأنا أحبك كحب أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخل أبي بكر غار ثور ليلًا قبل رسول الله يلتمسه أفيه سبع أو حية ليقيه بنفسه، فلما دخل الصديق رضي الله عنه الغار بدأ يقطع ثوبه ويسد الثقوب فلما رآه النبي قال له: أقطعت ثيابك يا أبا بكر؟! فقال: أخاف من شيء يؤذيك يا رسول الله. ثم غالب رسول الله النعاس فوضع رأسه على حجر أبي بكر فإذا بشيء يلدغ قدم أبي بكر ولم يتحرك خوفًا من أن يستيقظ النبي، ولكن من شدة دموع أبي بكر التي وقعت على وجهه الشريف استيقظ النبي وسأله: ما بك يا أبا بكر؟ فقال: لدغت، فداك أبي وأمي يا رسول الله. فقام بتفقد أبي بكر ومعالجته حتى ذهب عنه الألم.

قال قلب عمر لقلب حمزة:

أنا أعشقك عشقين عشق كعشق بلال بن رباح لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعشق كعشق أبي بكر لبلال بن رباح عندما طلب منه أبو بكر عندما كان خليفة رسول الله أن يستنفر الناس لمجاهدة الروم في الشام فذهب إلى أبي بكر وقال له: يا خليفة رسول الله ما لي أُنادي في الناس أن ينفروا في سبيل الله ثم أقعد من خلفهم، فقد عزمت على الخروج معهم فأذن لي رحمك الله، فرد عليه أبو بكر وقال: ما لي غنًا عنك يا بلال ولا أستطيع أن تفارقني. فقال بلال: يا خليفة رسول الله إن كنت إنما اشريتني وأعتقتني في هذا الزمان لنفسك فأمسكني وإن كنت إنما اشريتني وأعتقتني لله فدعني وعمل الله. فقال أبو بكر: لا والله يا بلال ولكنك تعلم حبي لك، ويحزننى أن أنظر فأجد مدينة رسول

الله قد خلت منك وانقطع صوتك بالأذان فأستوحش. فرد عليه بلال وقال: قد علمت يا خليفة رسول الله أنى ما أذنت بعد رسول الله إلا خنقتنى العبرات وانقطع صوتي فلست أُؤذن لأحد بعد اليوم. فقال أبي بكر: لا بأس عليك يا بلال، أعاننا الله على فراقك.

فرد عليه قلب حمزة لقلب عمر وقال:

وأنا أعشقك عشقين عشق خبيب بن عدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعشق رسول الله صلى الله عليه وسلم لجليبيب رضي الله عنه، فالأول عندما أمسكه بعض من نفر قريش وذهبوا به إلى مكة فأجمعوا على قتله لأنه قتل رجل من عظمائهم يوم بدر، فذهب إليه أبو سفيان فكان وقت ذاك لم يسلم بعد واقترب منه وقال له: أيسرك أن محمدًا عندنا نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال له خبيب: لا والله ما يسرني أني في أهلي وأن رسول الله في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه. فقال أبو سفيان في ذهول: والله ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا فأمر به أن يقتلوه فقتل.

والثاني عندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في غزوة وخرج معه جليبيب فلما انتهى القتال اجتمع الناس وبدأوا يتفقدون بعضهم بعضًا فسألهم النبي وقال: هل تفقدون أحدًا؟ فقالوا: نعم يا رسول الله نفقد فلانًا وفلانًا ونسوا جليبيب. فقال النبي: ولكني أفقد جليبيًا فقوموا فالتمسوا خبره، فقاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال وطلبوه مع القتلى، ثم مشوا فوجدوه في مكان قريب وقد استشهد، فوقف النبي أمام جسده المقطع ثم قال: هذا مني وأنا منه. ثم حمل جسده ووضعه على ساعديه وأمرهم أن يحفروا له قبرًا، فقال أنس بن مالك رضي الله عنه: فمكثنا والله نحفر القبر وجليبيب ليس له فراش غير ساعدي النبي صلى الله عليه وسلم.

ظلت عائشة عدة أيام كلما استيقظت تتفاجأ حينما تفتح عينيها فلا تجد سوى الظلام ثم تتذكر أنها صارت لا ترى.
كان الظلام الذي يحيط بها يفزعها، يفزعها حينما تفتح عينيها على اتساعها فلا ترى سوى الظلام في كل مكان كأنها انتقلت إلى عالم آخر، قضت أيامها الأولى في رعب وفزع لعدم قدرتها على تحديد الاتجاهات والأبعاد، كأنها سقطت في غياهب جب لا تدري إلى أين يصل قاعه، فكان أهلها يستيقظون ليلًا على صوت بكائها، ويفزعون حين يجدونها تستنشق الهواء بعنف وكأنها تختنق، تشعر أنها تغرق في بحر فجَّه عميق، في الأيام الأولى كانت تحاول الحركة دون الاعتماد على غيرها، وتقول في نفسها أنها لسيت بحاجة لأحد، تسير بشكل مضطرب وهي تلوح بيدها أمامها لتتحسس طريقها فتصطدم بالأشياء وتسقط على الأرض، أكثر فكرة كانت تفزعها أنها ستضطر للاعتماد على غيرها طوال حياتها وتقول في نفسها دائمًا: ماذا سيحدث لو فقدت أهلي؟
كان كل من في البيت يقوم بشؤونها ويساعدها في كل كبيرة وصغيرة، تمسك والدتها بمعصمها وتقودها برفق تجاه دورة المياه، وتظل واقفة أمام الباب تنتظرها بقلق ثم تعيدها بنفس الطريقة إلى صالة البيت لتجلس أمام التلفاز لتستمع له، تجلس أمام التلفاز وقت لا بأس به تستمع إلى الأخبار والبرامج الحوارية، وحينما يعود حمزة من جامعته يشترك مع والدته في العناية بها، يقول لها بعطف وحنان:
هل تودين أن أقرأ لكي شيئًا هل تريدين أن أُذاكر لكِ؟
أسوأ أوقات يومها كانت أوقات الطعام، ترفض الجلوس مع أهلها على نفس المائدة لأنها كانت تسقط الكثير من الطعام على نفسها فعلمت بذلك وشعرت بالحرج، والدتها كانت تضع لها منشفة صغيرة لتحمي ملابسها، وفي نهاية المطاف أصبحت تتناول طعامها وحدها في غرفتها ثم تأتي والدتها لتنظف ما سقط من

بقايا الطعام وتعطيها ملابس جديدة، رن جرس الباب وسمعت خطوات والدتها تسرع لتفتحه ثم سمعتها تقول مرحبة:
مرحبًا يا عمر تفضل تفضل.
خفق قلبها، ابتسمت ابتسامة خفيفة تدل على برائتها وجمالها، الشيء الوحيد الذي هونَّ عليها ما نزل بها أن حمزة وعمر قد عادا مرة أخرى إلى بعضهما، قد عادت المياه إلى مجاريها، اختلطت عليها أصوات خطوات والدتها وخطواته ثم جلس أمامها وقال لها:
عندي لكِ مفاجأة.
عائشة بفضول:
ما هي؟
أخرج من جيبه جهازًا تسجيليًا صغيرًا وضغط على زر التشغيل فسمعت صوته وهو يتكلم، غمرها الفضول أكثر وسألته:
ما هذا؟
عمر:
هذه هي المحاضرات التي فاتتك، وسأعمل أنا وحمزة على جمع كل المحاضرات في هذا الجهاز، أود أن تستعيدي الذي فاتك، وقد ذهبت إلى عميد الكلية وأخذت منه موافقة مبدئية أن تدخلي الاختبارات الصوتية كأنكِ دخلت الاختبارات مثلنا، فيسألونك بالصوت وتجيبين عليهم بصوتك، ولكن بعد أن يذهب إليه والدك في الجامعة.
تهللت أساريرها وقالت:
لو جمعت كل كنوز الدنيا ما أوفيك حقك، أنت أخي الثاني، جزاك الله خيرًا على ما تفعله معي.
عمر:
هذا رد جميلك على وقوفك ومساندتك لي أثناء مرضي ومحنتي، أنتِ وحمزة لم تتركاني أبدًا، ونجحت في هذه السنة بمساندتكما ومذاكرتكما لي.
ثم قام من مكانه واستأذن أن يخرج ليذهب إلى بيته فودعته هي ووالدتها،

لم تكن تستعيد الرؤية إلا حينما تنام وتسمع صوته وهو يتكلم في التسجيل الصغير، حينها كانت ترى الأشياء أمامها من جديد كأن الله قد أعاد إليها بصرها. ازدادت رغبتها في الاعتماد على نفسها، فبعد أن فعل عمر معها هذا تأكدت من أن الكل حولها ولا يتركونها، طاقة إيجابية دخلت إلى نفسها فأصرت على الاعتماد على نفسها دون غيرها، بدأت تعد خطواتها داخل البيت وتحفظ في ذاكرتها مكان كل شيء، طلبت من والدتها أن تحافظ على كل شيء في مكان معين كي يمكنها استخدامه حين تشاء، مانعتها والدتها في البداية للاعتماد على نفسها، سلوكها تغير فأصبح يمزجه شيء من المرح والنشاط، تجلس بالساعات على الجهاز التسجيلي لتذاكر لأن الاختبارات على الأبواب، اشترى لها حمزة عصا المكفوفين من إحدى شركات الأدوات الطبية؛ فأصبحت حركتها في البيت بعدها أكثر سهولة ويسر، لم تعد تمشي ببطء وحذر خوفًا من أن يكون هناك شيء ما ليس في مكانه فاردة ذراعها أمامها وكأنها تمشي أثناء نومها، أصبح طرف العصا هو رسولها الذي يسبقها ويتأكد من أن الطريق ممهد أمامها، أصبح يومها شديد الدقة، تستيقظ من النوم فتتجه إلى دورة المياه مستكشفة طريقها بعصاها، تغسل وجهها وأسنانها وتتوضأ ثم تخرج لتصلي، منحها ذلك كثيرًا من الانتعاش والراحة النفسية، تقوم والدتها بإعداد الإفطار فتتناوله مع أهلها ثم تجلس في غرفتها تستمع لصوته الذي كان يخرجها من هذه الدنيا، سارت حياتها بشكل روتيني سلس وسط دهشة أهلها من أخذها الأمور ببساطة وفرحتها بإنجازاتها الصغيرة، حتى اقترب موعد الاختبارات الصوتية فاستعدت لهذا جيدًا.

صباح يوم جديد، شمس دافئة لطيفة ليست بحارقة، نسمات هواء تمر بين المارة تداعب مشاعرهم، نزل حمزة من بيته متوجهًا إلى الجامعة، جلس مع أصدقائه قليلًا منتظرًا الدكتور ليأتي ويلقي محاضرته، جاء الدكتور ودخل الطلاب وبدأ يلقي محاضرته، وبعد لحظات استأذن ياسر في الدخول وفتح الباب، رمقه الدكتور بنظرة حادة وهتف به قائلًا:

أظن أنني قلت قبل ذلك مرارًا وتكرارًا أني عندما أدخل وألقي المحاضرة لا أحد يدخل بعدي.

ياسر بتوتر:

يا دكتور لقد تأخرت بسبب ال...

قاطعه الدكتور حانقًا وقال له:

تفضل بالخروج.

ياسر:

ولكن يا دكتور إن...

قاطعه للمرة الثانية بغضب:

ألا تسمع ما قلته لك أم تراك صُممت؟

ياسر:

من فضلك يا دكتور لا تقاطعني، اسمع لأخر كلامي وبعدها قرر ماذا ستفعل معي.

الدكتور بعنف:

لا أريد أن أسمع منك شيئًا، تفضل.

ثم أشار بيده إلى الباب، نكس ياسر رأسه وزفر بضيق ثم خرج وأغلق الباب وراءه.

بعدما ألقى الدكتور محاضرته توجه إلى مكتبه ومن ثم توجه إليه حمزة فاستأذن

عليه فرحب به وأجلسه وسأله عن أحواله ومذاكرته، وسأله أيضًا عن حال عائشة كيف هي فأخبره بأنها بخير وأنها ستدخل الاختبارات الصوتية، فسعد بذلك وتمنى لها النجاح والتوفيق وبعد ثوانٍ التفت إليه حمزة وقال له بأدب:
لو تكرمت يا دكتور أريد أن أتحدث معك قليلًا.
الدكتور:
تفضل.
حمزة بهدوء:
أنا متأسف يا دكتور على الذي أقوله لك الآن، الذي فعلته مع زميلي ياسر ليس بالصحيح، كان كلما يتكلم كنت تقاطعه، كنت أريد منك أن تسمع منه ما يقوله وبعدها قرر ما ستفعله.
الدكتور بحزم:
أنت تعلم بالذي فعلته والذي قلته عندما رأيتموني ورأيتكم وتعرفت عليكم لأول مرة، هذه سياستي مع طلابي، سينال عقابي من جراء ما فعل.
حمزة:
أريد أن أقص عليك موقفًا وبعدها لن يلومك أي أحد على ما ستفعله.
الدكتور:
أنا أسمعك تفضل.
حمزة:
لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته بين الناس جعلت قريشًا تحاول حربه بكل سبيل وكان مما بذلته أن تشاور كبارها في التعامل مع دعوته، وتسارع الناس للإيمان به، فقالوا:
انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه. فقالوا:
ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة، ثم أشاروا إليه وقالوا: أنت يا أبا الوليد.
وكان عتبة سيد حليمًا فقال:
يا معشر قريش، أترون أن أقوم إلى هذا فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله أن يقبل

منها بعضها.
فقالوا:
نعم يا أبا الوليد.
فقام عتبة وتوجه إلى رسول الله فدخل عليه فإذا هو جالس بكل سكينة ووقار، فلما وقف عتبة بين يديه قال:
يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟!
فسكت رسول الله تأدبًا مع أبيه عبد الله، فسأله مرة أخرى:
أنت خير أم عبد المطلب؟
فسكت صلى الله عليه وسلم تأدبًا مع جده عبد المطلب، فقال عتبة:
فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، وقبل أن يجيب النبي بكلمة ثار عتبة وقال:
إنا والله ما رإينا رجل قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبلى بأن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى.
كان عتبة متغيرًا غضبانًا، والنبي يستمع إليه بكل أدب وما قاطعه في كلامه!
وبدأ يقدم إغراءات ليتخلى النبي عن الدعوة وقال:
أيها الرجل إن كنت جئت بالذي جئت به لأجل المال؛ جمعنا لك حتى تكون أغنى رجلًا في قريش، وإن كنت إنما بك حب الرئاسة؛ عقدنا أوليتنا لك فكنت رئيسنا لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت إنما بك الرغبة في النساء؛ فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرًا!، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤية من الجن تراه ولا تستطيع رده عن نفسك؛ طلبنا لك الطب وبذلنا فيه من أموالنا حتى نبرءك منه، فإنه ربما غُلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه.
ومضى يتكلم بهذا الأسلوب السيء مع رسول الله ويعرض عليه عروضًا والنبي ينصت إليه بكل هدوء وما قاطعه أيضًا!

وانتهى العرض، ملك، مال، نساء، علاج من جنون!
فرفع النبي بصره إليه وقال بكل هدوء:
أوقد فرغت يا أبا الوليد من كلامك؟!
لم يستغرب عتبة هذا الأدب من الصادق الأمين فقال:
نعم.
فقال صلى الله عليه وسلم:
فاسمع مني.
قال عتبة:
أفعل.
فقال صلى الله عليه وسلم:
"بسم الله الرحمن الرحيم* حم* تنزيل من الرحمن الرحيم* كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون* بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون". (فصلت)
ومضى النبي يتلو الآيات وعتبة يسمع، وفجأة جلس عتبة على الأرض ثم اهتز جسمه فألقى يديه خلف ظهره واتكأ عليهما وهو يستمع ويستمع والنبي يتلو ويتلو، حتى بلغ قوله تعالى "فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود"، انتفض عتبة لما سمع من التهديد والعذاب وقفز ووضع يديه على فم رسول الله ليوقف القراءة، فاستمر صلى الله عليه وسلم يتلو الآيات حتى انتهى من الآية التي فيها سجدة التلاوة فسجد ثم رفع رأسه من سجوده ونظر إلى عتبة وقال:
سمعت يا أبا الوليد؟
قال عتبة:
نعم.
فقال صلى الله عليه وسلم:
فأنت وذاك.
قام عتبة يمشي إلى أصحابه وهم ينتظرونه متشوقين، فلما أقبل عليهم قال

بعضهم لبعض:
نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.
فلما جلس إليهم قالوا:
ما وراءك يا أبا الوليد؟
فقال عتبة:
ورائي، إني والله ما سمعت قولًا مثل الذي سمعته قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو عليه واعتزلوه، والله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تُصبه العرب كفيتموه بغيركم وإن يظهرعليهم فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، ثم قص عليهم ما حدث بالتفصيل، وقال لهم:
يا معشر قريش قد علمتم أن محمدًا إذا قال شيء لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب، والله ما رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئًا من هذا.
فتعجبوا وقالوا:
سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.
فقال عتبة:
هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم.
قد لانت نفس عتبة للدين بسبب أدب وأخلاق رسول الله معه.
تنهد تنهيدة ثم رمقه وقال:
هذا ما أريد أن أُوصله إليك يا دكتور، لا تقاطع الناس أبدًا، كبيرًا أو صغيرًا، عاقلًا أو مجنونًا، ذو رأي أو سفيه، أنصت إليهم حتى ينتهوا من كلامهم حتى إذا فرغوا قل ما عندك.
أومأ برأسه فنظر إليه ولاحظ أن الندم قد بدأ يهاجم وجهه والتأثر قد بدا عليه، استأذن في الخروج فسمح له بذلك وعندما انتهى إلى الباب ليفتحه ناداه وقال:
أتمنى عندما يكبر ابني ويبلغ أشده يصبح مثلك، عندما ترى ياسر أخبره أني أريده لأعتذر له عما بدر مني.

ابتسم ابتسامة جميلة تدل على خلقه وأخذ الباب وراءه ومضى إلى صديقه وأخبره بالذي حدث ففرح بذلك، ثم تفرق كل منهما، ثم تذكر ياسر شيئًا فناداه فأقبل إليه وقال له:
ماذا فعلت في الموضوع الذي حدثتك به بالأمس؟
حمزة:
سأذهب اليوم إليه وأتحدث معه.
شكره ياسر ثم تفرق كل منهما إلى الجهة التي يريدها.
أخذ حمزة سيارة أجرة بعدما انتهى من محاضراته ذاهبًا ليرى الموضوع الذي حدثه فيه ياسر بالأمس، رأى هرج ومرج في أحد العقارات على جانب الطريق فطلب من سائق الأجرة أن ينزله هنا فحاسبه وانطلق لرزقه، اقترب من المكان ووجد رجالًا مجتمعون ويحاولون أن يسحبوا هذا الضعيف المسكين من هذا الذي يفركه في يديه، شاهده وهو يلطمه على وجهه صارخًا فيه بغضب:
أيها الأحمق قلت لك قبل ذلك مرارًا وتكرارًا وأمرتك أن لا يأخذ أحدًا هذا المكان الذي أضع فيه سيارتي.
أخبره الرجل الضعيف أنه لم يكن موجودًا لأنه كان يشتري بعض الحاجات له ولامرأته، وقف يشاهد هذا الذي يحدث أمامه مذهولًا، سأل أحد الواقفين بجانبه على هذين الرجلين فأخبره أن هذا الرجل المسكين هو بواب العقار وأن هذا الرجل المتعجرف هو صاحب العقار، أومأ برأسه ثم راقب الرجل وهو يتحرك إلى سيارته ليركب فيها، ذهب إلى سيارته واستأذنه في أن يتكلم معه، استغرب الرجل قليلًا ولكنه أذن له، ركب بجانبه وعرفه بنفسه قائلًا بهدوء وسكينة:
أنا حمزة عبد الرحمن، يا أستاذ أريد أن أخبرك أن الذي فعلته منذ قليل ليس بالصحيح ولا يجوز أن تضرب أحدًا على وجهه مهما فعل، أنت الآن وضعت كرامة هذا الرجل في أسفل سافلين، إن الله قد كرم الإنسان وعظمه فأنت بهذا الفعل قد حقرته، ماذا ستكون ردة فعلك إذا لطمك هو على وجهك؟
تفاجأ صاحب العقار من كلامه وهربت منه الكلمات ولم يرد عليه وبعد لحظات

هتف به حانقًا:
هذا رجل مهمل في عمله أمرته وقلت له قبل ذلك كثيرًا ولكنه لم يستمع إليّ، يدخل الكلام من أذنه ويخرج من الأخرى، كنت لا بد أن أفعل ذلك معه ليتعلم، ثم ما شأنك أنت؟!
حافظ حمزة على هدوئه وقال له بأدب:
أتعلم أنه كان يوجد أمير تمنى من الله أن يخرج من هذه الدنيا ويقف أمامه لا له من الحسنات ولا عليه من السيئات لأنه ضرب أحد رعيته بالعصا.
صاحب العقار مندهشًا:
حقًا، ومن هذا الأمير الذي فعل ذلك؟
حمزة:
هل تريد مني أن أقص هذا الموقف عليك لتسمعه أم لا؟
صاحب العقار مترجيًا:
نعم نعم أحب ذلك، هات ما عندك.
حمزة:
قال الأحنف بن قيس: كنت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في يوم من الأيام وكان في المسجد النبوي يتناقش مع أصحابه في أمر مهم من أمور المسلمين وفي ظل انهماكه وانشغاله مع أصحابه دخل عليه رجل وقال له:
يا أمير المؤمنين انطلق معي فاعني وانصرني على فلان فإنه قد ظلمني وجار عليّ.
رفع أمير المؤمنين درته (عصاه) فضرب بها على رأس الرجل وقال له بغضب شديد:
أما تراني في مشغلة مع أصحابي، تتركون عمر وهو مقبل عليكم حتى إذا اشتغل بأمر المسلمين أتيتموه قائلين أعذني، أجرني، انصرني
فذهب الرجل وهو متأسفًا على حاله وهو يقول:
بأي ذنب اقترفته حتى يضربني أمير المؤمنين.
فدعا عمر بالرجل بعد أن ذهب حتى أتاه فوقف أمامه وقال لأمير المؤمنين:

قد نلت مني يا أمير المؤمنين، فماذا بعد؟
قال له أمير المؤمنين:
امتثل لما أقوله لك، دونك الدره واقتص لنفسك مني واخفقني بها كما خفقتك ولا تحملني إثمك عند الله.
تناول الرجل الدرة ووقف مترددًا وأمير المؤمنين كاشفًا صدره منتظرًا أن يخفقه الرجل، وبعد لحظات قليلة قال الرجل لأمير المؤمنين:
لا يا أمير المؤمنين ومعاذ الله أن أقاصمك، أدعها لله ولك.
قال أمير المؤمنين:
ليس كذلك إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثواب أو تردها عليّ فاعلم ذلك.
قال الرجل:
أدعها لله يا أمير المؤمنين وأعفو.
قال أمير المؤمنين:
عفا الله عنك.
ثم انصرف أمير المؤمنين حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح للصلاة وصلى ركعتين وجلس ثم صار يعاتب نفسه عتابًا شديدًا وهو يقول:
يا ابن الخطاب كنت وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالًا فهداك الله، وكنت ذليلًا فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين فجاء رجل يستعديك فضربته، ماذا ستقول لربك غدًا إذا أتيته؟! فرفع بصره إلى السماء داعيًا ربه قائلًا:
اللهم إن لم تغفر فقد هلك عمر.
التفت إليه أسلم خادمه وهو مشفق عليه قائلًا له:
حسبك يا أمير المؤمنين فلقد أنصفت الرجل من نفسك وعفا، عفا الله عنك وعنه.
نظر إليه أمير المؤمنين والدموع تتناثر من عينيه وقال باكيًا:
ولكني لم أعف عن نفسي، لقد لنت للناس حتى قيل لا يشتد، واشتددت حتى قيل لا يلين، فما المخرج؟! لوددت أن أخرج من هذه الدنيا كفافًا لا عليّ ولا لي!

وبعدما أنهى حمزة الموقف الذي قصه عليه التفت إليه ونظر في وجهه منتظرًا أن ينظر الرجل إليه ليكلمه ولكنه ما استطاع، شعر أن لحم وجه سيسقط من الخجل، حاول أن يخرج الرجل من حالته فسأله قائلًا:

أريد أن أسأل سؤالًا، هؤلاء الناس الذين يقتلون ويسرقون وينهبون ويعذبون ويأكلون حقوق الناس ماذا سيقولون عندما يقفوا أمام ربهم؟ أترى ماذا فعل أمير المؤمنين عمر عندما أوجع شخص من رعيته وهو كان مشغولًا في أمر المسلمين؟! وهو من هو، ثاني المبشرين بالجنة، بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم عندما رأى أنه يشرب اللبن في قدح ولما انتهى كان يوجد هناك بقية لبن في هذا القدح فأعطاها لعمر فسألوه أصحابه وقالوا: ما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم، بشره النبي بالدين عندما قال: ورأيت عمر بن الخطاب يأتي يوم القيامة وعليه قميص يجتره. فسألوه وقالوا: ما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين وبشره أن له قصر في الجنة لما رأى نفسه أنه دخل الجنة فوجد قصرًا من ذهب فأعجبه، فعلم أنه لعمر بن الخطاب فوجد جارية بجانب هذا القصر تتوضأ فتذكر غيرة عمر فولى مدبرًا، فلما قص النبي هذه الرؤيا لعمر بكى وقال: أو عليك أغار يا رسول الله؟! بشره النبي بالشهادة عندما صعد هو وأبي بكر وعمر وعثمان على جبل أحد فاهتز بهم الجبل فقال: رسول الله اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان، بشره أن إبليس يخاف منه ويهابه عندما قال: له ايه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لو رآك الشيطان سالكًا فجًا (طريق) لتركه لك وسلك فجًا غير فجك يا عمر، أسألك بالله لو جاء النبي صلى الله عليه وسلم لأحد منا في رؤية وبشره بكل هذا، بشره بجنة وبشهاده وبعلم وبدين ماذا سيفعل؟!

لم يستطع أن يرد فاستطرد كلامه قائلًا:

أنا سأخبرك ماذا سيفعل، كان سيركبه الغرور ويصبح من المغرورين والمتكبرين، من الممكن أن يضيع حق الله عليه، ومن الممكن أن يتهاون في صلواته ويقول لنفسه جاءني النبي وبشرني بالجنة وبشرني بالشهادة وبشرني وبشرني وبشرني، أنا سأدخل الجنة، فليس من الضروري أن أصلي قيام الليل، وليس من الضرورة

أن أصلي السنن، ليس من الضرورة أن أتصدق على الفقراء والمساكين، ليس من الضرورة أن أصلي الصلاة في موعدها، ليس من الضرورة أن أقرأ القرآن كل يوم، ويقول في نفسه أيضًا: إن ضربت أحدًا أو أكلت ماله أو سفكت دمه سيغفر الله لي لأن النبي بشرني بالجنة!

ثم أردف قائلًا:

هؤلاء الناس يا أستاذ مهما كانت البشريات التي كان يبشرها لهم النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كانوا لا يأخذون بها، يزداد خوفهم من الله كلما ازدادت هذه البشريات، هؤلاء الناس كانت نفسيتهم طيبة وكانت عندهم أخلاق مثالية رائعة وصفات إنسانية كاملة من خلال تربية القرآن والإسلام لهم، هذا الموقف الذي قصتته عليك منذ قليل يوضح لنا مدى احترام هؤلاء الناس للقانون وإنه يشمل الكل، الحاكم والمحكومين من غير تمييز ولا تفريق بين غنى وفقير، موقف يوضح كرامة الناس والأمة، كرامة الشخص والفرد وقدسية حقه في نظر الحاكم، ولو كانت هذه أخلاق القادة والسادة أليس من المفترض أن تكون هذه أخلاق الناس والأفراد؟

لاحظ حمزة تأثر صاحب العقار من هذا الكلام ووضع رأسه على تارة التحكم للسيارة في ندم وبعد لحظات نزل من سيارته وهو يتابعه ومضى إلى الرجل المسكين وقبل رأسه وطلب منه العفو والسماح، ابتسم ابتسامة خفيفة بعدما رأى هذا ونزل من السيارة ومضى في طريقه.

ذهب إلى العنوان الذي كتبه صديقه ياسر على ورقة ووضعها في جيبه مذكرًا إياه أن لا ينسى الموضوع، دخل العقار وأخذ المصعد وصعد إلى الدور الذي يريده ومن ثم دخل المكتب واستأذن السكرتير في أن يقابل الأستاذ محمود صاحب المكتب، طلب منه السكرتير أن يجلس قليلًا ليدخل إليه ويخبره، أخذ يحرك رأسه ويلتفت إلي كل مكان في المكتب، أخذه جمال المكتب وأناقته وتصميمه وأخذه أيضًا جمال الديكورات المنقوشة على حوائطه، من المؤكد أن مهندس الديكور الذي نفذ هذا هو بارع، لم ير أبدًا ديكورًا بمثل هذا الجمال والروعة، ومن المؤكد أيضًا أن هذا المكان دُفع فيه مبلغ كبير ليخرج بهذا الإبداع، أخذته

هذه الأشياء ولكنه لم يستغربها، فهو يعرف ياسر صديقه ويعرف مستواه المادي والاجتماعي ويعلم أيضًا أن والده يمتلك ثلاث شركات للاستيراد والتصدير، وهذا المكان الذي يجلس فيه هو واحد من هذه الشركات.
جاءه السكرتير وهو مبتسم وطلب منه أن يدخل إلى هذا المكتب ليقابله، وقف على الباب وطرقه بلطف فسمع الصوت آذنًا له بالدخول، فتح الباب ووجد رجلًا في الخمسين من عمره، بشرته وردية وملامحه دقيقة وذقنه ملساء يرتدي بدلة أنيقة سوداء من الممكن أن يكون ثمنها هو مرتب أربعة موظفين من الذين يعملون عنده على عينيه نظارة تزيده وقارًا، رمقه الأستاذ محمود وقال له:
تفضل بالجلوس يا بني.
جلس أمامه متوترًا فسأله قائلًا:
ماذا تشرب؟
حمزة:
لا شيء، لا داعِ لذلك.
التقط سماعة الهاتف التي أمامه وضغط على ثلاثة أرقام، أجابه عامل البوفيه فرد عليه وقال:
ائتني بكوبين من الليمون بسرعة من فضلك.
كان حمزة منكس الرأس ناظرًا إلى الأرض، يبدو عليه التوتر والارتباك ولكنه تمالك نفسه فالتفت إليه وقال له بكل أدب:
أود أن أعرفك بنفسي، أنا حمزة عبد الرحمن زميل ياسر في الجامعة، وأريد أن أُحدثك في موضوع يخصه.
رفع حاجبه في دهشة وقال:
حقًا، أنت حمزة؟! ياسر يذكرك ليلًا ونهارًا، لا يفتأ في ذكر أدبك وأخلاقك وسلوكك.
ثم أردف قائلًا له:
ما هو الموضوع الذي يخصه الذي تريد أن تحدثني فيه؟
حمزة:

الموضوع هو رفضك للفتاة التي حدثك أنه يريد أن يخطبها ولكنك رفضت بشدة، لن أكذب عليك يا سيدي، أنا رأيتها واستنتجت ذلك، من ارتدائها لملابسها يدل على أنها فتاة يذوب فيها الأدب والاحترام، أخبرني ياسر أنها حافظة للقرآن ومحافظة على صلواتها، اشترطت عليه لكي تتحدث معه أن يتقدم إليها ويقرأ الفاتحة مع أهلها لأنها ليست متعودة على ذلك.

الأستاذ محمود:

ولكن مستواها ومستوى عائلتها أقل من المتوسط، والدها موظف بسيط في الحكومة وبعد عمله هذا يعمل في محطة وقود، والدتها موظفة في مدرسة ابتدائية، هم ليسوا من مستوانا المادي والاجتماعي، أريد له فتاة وعائلة تكون من نفس مستواه المادي والاجتماعي أو على الأقل أقل من هذا بقليل، أنا أخشى عليه وأريد له حياة سعيدة.

حمزة:

كلنا من آدم وآدم من تراب، لو افترضنا أنه تزوج من فتاة من المستوى الذي تريده أنت، ما هو شعورك لو رأيتها مستهترة ولم تسمع كلامه ولا تعرف حقوقها وواجباتها معه، وليست مهتة به ولا ببيتها ولا بأولادها وليست عندها تحمل مسؤولية ويشتكي منها طوال الوقت؟

ألجمه كلامه ثم استطرد قائلًا:

يوجد موقف يتشابه مع موقفنا، لو أحببت ذلك أقصه عليك الآن.

الأستاذ محمود مرحبًا:

طبعًا طبعًا، تفضل يا حمزة، الوقت وقتك.

حمزة:

كان من عادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب التعسس بالليل، والتعسس هو المشي بالليل لقضاء حوائج الناس، فأصابه الرهق فاتكأ إلى بيت من البيوت ومعه خادمه أسلم فسمع سيدة تقول لابنتها:

يا ابنتي كم مرة سأقول لكِ هيا قومي إلى ذلك اللبن وامزجيه بالماء حتى إذا جاء الصباح خرجتِ به لمن يبتاعه منا.

قالت البنت لأمها:
يا أماه يأبى الله! وإن أمير المؤمنين قد أمر مناديه فنادى لا يشرب اللبن بالماء.
قالت الام لابنتها:
أنتِ في موضع لا يراكِ فيه أمير المؤمنين ولا منادي أمير المؤمنين!
قالت البنت لأمها:
والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا، وقليل في طاعته خير من كثير في معصيته وإن كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم يرانا!
التفت أمير المؤمنين إلى خادمه أسلم وقال له:
اعرف الموضع يا أسلم، فإذا كان نهار غد فانظر إلى القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل.
وفي الصباح أخذ أمير المؤمنين ابنه عاصم إلى هذا البيت الذي دار فيه هذا الحوار فاستأذن وعندما رأت المرأة أمير المؤمنين ارتجفت وارتعبت فقالت له:
ما الشأن يا أمير المؤمنين عسى أن يكون خيرًا.
وكانت ابنتها في جوارها.
قال أمير المؤمنين:
عسست الليلة المنصرمة فأصابني الرهق فاتكأت إلى جداركما؛ فأسمعني الله تحاوركما في ذلك اللبن.
نظرت المرأة إلى أمير المؤمنين وقالت له والخوف يملأ كيانها:
التوبة يا أمير المؤمنين فإن الله غافر الذنب وقابل التوب.
قال أمير ألمؤمنين لها في قوة وصرامة:
نعم وشديد العقاب، فاتقي الله ولا تعودي لمثلها.
فالتفت أمير المؤمنين إلى ابنتها وقال:
أما أنتِ فنعم الفتاة، وقد سألت عنكما وقد علمت أن الفتاة لا بعل لها وقد حدثت ابني فيكِ فرغبته فرغب.
نظرت الفتاة إلى أمير المؤمنين والحياء يغمرها، فقال لها أمير المؤمنين:

هل رضيتِ به؟
فقالت أم الفتاة لأمير المؤمنين:
وكيف لا ترضى بولد أمير المؤمنين وأنت وليها ووليه!
قال أمير المؤمنين:
لا يغرنكما أنه ولد أمير المؤمنين، فليس بذي مال ولإن أساء لأُضاعفن له العذاب وعسى الله أن يجمع بينكما في خير ويرزقكما ذرية صالحة.
تنهد حمزة ونظر إليه وقال:
ألا تعرف من هي الذرية الصالحة في هذا الزواج؟
الأستاذ محمود:
من؟
حمزة:
عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.
الأستاذ محمود:
حقًا؟!
حمزة:
عاصم ابن أمير المؤمنين تزوج هذه الفتاة ورزقهما الله بفتاة أسموها ليلى، ليلى هذه تزوجت من شخص اسمه عبد العزيز بن مروان ورزقهما الله بولد أسموه عمر، عمر بن عبد العزيز.
تمتم الأستاذ محمود بتأثر شديد:
لا يراني الله في موضوع أكون فيه أفضل من أمير المؤمنين عمر، قُبحت إن ظننت ذلك.
أمسك هاتفه ثم اتصل به وما أن سمع صوته حتى قال له مداعبًا:
هل أنت على استعداد أن نذهب أنا وأنت وأختك ووالدتك وحمزة إلى بيت هذه الفتاة التي حدثتني عنها لأخطبها لك، أم تراك غيرت رأيك في هذا الموضوع؟
سمع صوته في الهاتف وهو يتراقص فرحًا، ابتسم ابتسامته المعروفة التي يتسمها عندما يغير نظرة شخص أو موقفه في قضية ما، استأذن منه ليذهب فطلب منه

الأستاذ محمود أن يمر عليه ولا ينساه فوعده بذلك ومضى في طريقه إلى حيث تحمله قدماه.

وصل حمزة إلى عمر في الكافيه الذي كانا يدوامان الجلوس عليه ليضيعا أوقات فراغ كل منهما، وكان يحمل حقيبة اللاب توب خاصته التي لا تفارقه وكان يضع فيها كتبه التي هي أعز ما يملك، أخرج من حقيبته اللاب توب الخاص به فجلسا يلهوان عليه، مرت ساعة وهما جالسان إليه وكالعادة قد تغلب حمزة على عمر في لعبة كرة القدم وظل يغيظه ويعرفه أنه لم يفقه شيئًا في هذه اللعبة وعمر يتحجج أن الحظ يحالفه دومًا، وفي هذه الأثناء أخذ عامل الكافيه جهاز تحكم التلفاز وأخذ يتنقل بين القنوات الفضائية واحدة تلو الأخرى حتى استقر على واحدة منها.

التفتا إلى التلفاز فوجدا مشاهد تخلع القلوب من مكانها، مشاهد تتفجر الحجارة منها بكاء كأنه انهار من قساوتها وبشاعتها.

المشهد الأول: طفل سوري لم يتعد الثلاث سنوات، تدفعه أمواج البحر حتى يصل إلى شاطئها جثة هامدة بلا حراك.

المشهد الثاني: طفل من بلدة مضايا في سوريا العزيزة يطلب من رجل مالًا ليأكل به لأنه لم يدخل في بطنه طعام منذ ثلاثة أيام بسبب الحصار على بلدة مضايا ومنع الطعام أن يدخل فيها، فرد عليه الرجل بأسف شديد بأنه لا يحمل مالًا هو أيضًا.

المشهد الثالث: فتاة إسرائيلية عند المسجد الأقصى تقول: إن محمد خنزير. رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشتم ويُسب عند أولى القبلتين وثالث الحرمين الشرفين، يُشتم ويُسب عند معراجه إلى السماوات السبع، يُشتم ويُسب عند المكان الذي كان فيه يصلي إمامًا بالأنبياء وهم خلفه، يُشتم ويُسب عند المكان الذي ولد فيه يحيى وزكريا ويعقوب ويوسف وإسحاق، يُشتم ويُسب عند المكان الذي سكن فيه إبراهيم ولوط، يُشتم ويُسب عند المكان الذي دُفن فيه موسى وإسحاق، يُشتم ويُسب على أرض أنبياء الله عليهم وعلى نبينا أفضل

الصلاة وأزكى التسليم.
شُل لساناهما.
ترقرق الدمع في عيني عمر والتفت إليه وهتف به قائلًا:
متى سيلتف العرب حول بعضهم ويكونون يد واحدة؟ متى سيشعر العرب بهؤلاء الناس والأطفال الذين يموتون هكذا، متى سنرى هؤلاء الناس يعيشون بكرامتهم ولا يتذللون لأي أحد؟ متى سيرجع هؤلاء الناس إلى بيوتهم؟ (إذا كانت هناك بيوت). ويعيشوا في أمن وأمان واستقرار؟ متى سنرى هؤلاء الأطفال يفرحوا ويلعبوا مع بعضهم البعض؟ متى سنرى هذه الطفولة البريئة التي تموت في كل وقت حين تأخذ حقها وتستمتع بنشوة الطفولة؟ متى سنرى العرب يحركون الجيوش ويلتفون ويأخذون الحق لشخص عربي استغاث بهم؟
ثم أردف متعجبا قائلًا:
متى يا حمزة؟ ألم يأن الأوان لذاك؟!
ضحك باستهزاء وأخذ يهز رأسه ونظره شاخصًا إلى الأرض فالتفت إليه وقال له:
أنا سأخبرك متى، يحدث هذا عندما ينفخ الله في روح العرب ثانية ويرجعوا أحياء مرة أخرى، يحدث هذا عندما تُردُ الروح والنخوة إلى القلوب التي يحملها العرب، النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن نستغيث بالأموات، والعرب الآن في حضرة الأموات، هل فهمت قولي يا عمر؟
هز عمر رأسه في استسلام وتمتم بكلمات لم يسمعها إلا هو:
جينا بنعيدكن بالعيد بنسألكن ليش ما في عنا لا أعياد ولا زينة؟! يا عالم أرضي محروقة، أرضي حرية مسروقة، سمانا عم تحلم وبتسأل الأيام وين الشمس الحلوة ورفوف الحمام؟! يا عالم أرضي محروقة، أرضي حرية مسروقة، أرضي صغيرة مثلي صغيرة ردولا السلام وأعطونا الطفولة، أعطونا الطفولة، أعطونا أعطونا أعطونا السلام.
خرجت منه هذه الكلمات التي تكتب بماء الذهب ودمعة خفيفة نزلت على خديه فالتفت إليه وقد لاحظ الدمعة التي نزلت على خديه وربت على كتفه مواسيًا وقال له:

سينصرهم الله بإذنه قريبًا، إن وعد الله آت لا محاله، ألا إن نصر الله لقريب، ولكن ما الذي كنت تتمتم به منذ قليل؟

عمر:

هذه أغنية غنتها طفلة جميلة بريئة عمرها تسع سنوات وهي من سوريا العزيزة، غنت هذه الأُغنية في أحد البرامج، واسمها غنى بو حمدان، الطفولة خُلقت ورسمت في هذه الطفلة، غنت هذه الأغنية بإحساس رائع وجميل جعلت كل من في هذا البرنامج يبكي، ومن شدة تأثري بها حفظتها.

ثم أردف قائلًا:

أنا قرأت موقفًا كلما أشاهد هذه المواقف التي تحدث لأطفالنا الأبرياء أبكي بحرقة.

أثارت هذه الكلمات فضوله فقال له متسائلًا:

وما هذا الموقف؟

عمر:

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يستطع أن يكمل قراءة القرآن في الركعة الثانية وهو يصلي بالناس الفجر بسبب طفل كان يبكي!

حمزة متعجبًا:

لم يستطع أن يكمل القراءة بسبب طفل كان يبكي ولم يمت! لحظة واحدة، لو أن أمير المؤمنين كان حيًا بيننا الآن وشاهد النفوس والأطفال التي تموت بالطرق البشعة، ماذا ستكون ردة فعله؟!

صمت الاثنان للحظات، ثم أردف متأثرًا:

رحمك الله يا أمير المؤمنين، لو كنت حيًا بيننا الآن لكان العالم العربي في شموخ وعزة، لو كنت حيًا بيننا لَمَا وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن، لقد كنت كبيرًا في تواضع، متواضع في قوة، قوي في عدل ورحمة، حقًا صدق من قال: وإن سألك أحد عن العدل في بلاد المسلمين فقل لهم قد مات عمر بن الخطاب.

ثم استطرد كلامه قائلًا له:

قص علي الموقف يا عمر جزاك الله خيرًا.

عمر:
في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اهتزت المدينة وعجت الطرقات بالوافدين من التجار الذين نزلوا المصلى وامتلأ المكان بالأصوات، فقال أمير المؤمنين لعبد الرحمن بن عوف:
هل لك أن نحرسهم الليلة من السرقة؟
فباتا يحرسان ويصليان ما كتب الله لهما فسمع أمير المؤمنين صوت صبي يبكي فتوجه ناحية الصوت فقال لأمه وهي لا تعرفه التي تحاول إسكاته:
يا أمة الله ما بال هذا الصبي لا يكف عن البكاء؟! اتقي الله وأحسني إلى صبيك .
ثم عاد إلى مكانه فارتفع صراخ الصبي مرة أخرى فعاد إلى أُمه وقال لها:
ويحك إنك أم سوء! ما لي أرى هذا الصبي لا يقر منذ الليلة من البكاء وأنا أدعوكِ إلى إسكاته ولا تفعلين؟!
قالت أم الصبي لأمير المؤمنين:
يا عبد الله إني أشغله عن الرضاعة وأحاوله على الفطام فيأبى ذلك.
قال أمير المؤمنين لها متعجبًا:
ولم تتعجلين فطامه؟
قالت أم الصبي لأمير المؤمنين:
إن عمر لا يفرض رزقًا إلا للفطيم.
فارتعدت فرائصه وأصبح هذا العملاق عصفورًا من خشية الله وقال في صوت متأثر:
ويحك لا تعجليه وأنا ضمين أن يرجع عمر عن رأيه.
ثم انصرف فصلي الفجر وما يستبين الناس قراءته من شدة البكاء فلما سلم صعد المنبر وقال:
أيها الناس كنت قد فرضت رزقًا للفطيم دون الرضيع وإني رجعت عن ذلك، فلا تعجلوا صبيانكم على الفطام فإنّا نفرض لكل مولود، الفطيم والرضيع، ونزيده كلما اشتد عوده وزادت حاجته إن شاء الله، فنادى على أسلم خادمه وقال له:

يا أسلم ناد بذلك في أحياء المدينة.
فنزل أمير المؤمنين جاثيًا على ركبتيه وقال باكيًا:
بؤسًا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين؟!
حمزة:
ما هو شعورك في هذا المشهد الذي رأيناه منذ قليل عندما طلب الطفل الصغير مالًا ليشتري به طعامًا فرد عليه الرجل بأسف بأنه لا يحمل مالًا هو أيضًا، أمن المعقول أن وصلنا إلى هذه المرحلة؟
عمر:
أسألك بالله أن تكف، قلبي لن يحتمل أكثر من هذا، لو كان في سوريا العزيزة ذرة عدل، أقول عدل ولا أقول رحمة، لو كان فيها عدل، لَمَا وصلت سوريا إلى ما وصلت إليها الآن، هؤلاء المسؤولون الكبار في سوريا بالتأكيد قد شاهدوا هذا الطفل، وبالتأكيد أيضًا عندما رأوا هذا المشهد لم يتحركوا ساكنًا وكأن شيئًا لم يحدث، وبالتأكيد أنهم أكلوا أشهى الطعام وشربوا أعذب المياه وناموا في هدوء وسكينة، ويقولون في نفسهم ماذا سيحدث لو لم يأكل طفل لمدة ثلاثة أيام؟!
حمزة:
بمناسبة موضوع العدل سوف أحكي لك موقفًا يشبه موقف الطفل هذا، أحكيه لك لترى العدل والإنسانية في أروع صورها، لترى الحاكم وهو يشعر ويحس برعيته، لترى الحاكم الذي يملك ضميرًا ولم يمت عندما أخذ عهد على نفسه أن لا يأكل إلا طعام واحد ليشعر بما يشعر به الناس الجائعة، لأنه تربى على هذا، تربى في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، تربى في مدرسة كانت رسالتها أنك تشعر وتحس بغيرك، تشعر وتحس بمن حولك وترى مشاكلهم وتحلها وتجلس معهم وتستمع لرأيهم وتأخذ بمشورتهم، تربى في مدرسة كانت رسالتها أن الخير لو نزل سيصيب الكل وأن البلاء لو نزل سيعم الكل، حاكم ومحكومين، ثم سكت لحظات معدودة وقال له:
في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابتلى الله المسلمين بالرمادة وهي جوعًا شديدًا أصاب الناس بالمدينة وما حولها حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الأنس

وفي ذات ليلة عس أمير المؤمنين المدينة فلم يجد أحدًا يضحك ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة ولم ير سائلًا يسأل فسأل عن سبب ذلك فقيل له: أن الناس قد سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال والناس في هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون، واحتشد الناس من خارج المدينة وقدموا إليها يطلبون العون حتى قيل إنه خيم في أطراف المدينة قرابة ستين ألفًا من العرب لا يجدون إلا ما يُقّدم لهم من بيت المال أو من أهل المدينة المنورة، فكان أمير المؤمنين يُولم لهم كل ليلة حتى حضر في وليمة واحدة أكثر من عشرة آلاف شخص، فلما رأى أمير المؤمنين هذا البلاء وهذه الحالة التي أصابت المسلمين أقسم على نفسه أن لا يذوق لحمًا ولا سمنًا حتى يحيا الناس أو يرفع الله هذه الغمة! وفي ذات ليلة من ليالي عام الرمادة دخل عليه خادمه أسلم وهو يحمل على يديه صحن فيه لحم وكبد فنظر فيه أمير المؤمنين فرفع بصره إلى خادمه وقال له في قوة:

من أين هذا؟!

قال أسلم:

من الإبل التي نحرناها اليوم للناس.

قال أمير المرمنين:

قد علمت أني أقسمت على نفسي أن لا أذوق لحمًا ولا سمنًا وأن أذوق الخبز المفتوت بالزيت حتى يحيا الناس، فكيف يُعنيني شأن الرعية إذ لا يمسني ما مسهم؟!

قال أسلم:

هذه من الإبل التي طَعُمَ منها الناس.

قال أمير المؤمنين:

وتخصونني بغيرها دونهم، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس عظامها، ارفع هذا الطعام وأطعمه للناس وائتني بخبز وزيت.

قال أسلم وهو مشفقًا عليه:

قد اسود وجهك من الخبز والزيت يا أمير المؤمنين، فارفق بنفسك.

قال أمير المؤمنين بصرامة:
افعل كما أمرتك.
فذهب أسلم، فنظر أمير المؤمنين إلى بطنه وجعل يربت عليها بكفه وهو يقول لها:
تكركري، تكركري، فليس لكِ عندنا إلا الخبز المفتوت بالزيت حتى يحيا الناس أو يرفع الله هذه الغمة.
حمزة متأثرًا:
هذا هو العدل الذي أخبرتك به.
ثم أردف قائلًا:
ما تعليقك على المشهد الثالث؟
تنهد عمر ثم قال:
هي قالت هذه الكلمة لأنها لا تعرف النبي صلى الله عليه وسلم، لا تعرف شيء عن أخلاقه، لا تعرف شيء عن رحمته، لا تعرف شيء عن معاملته لأجدادها عندما عاش معهم، لا تعلم أنّه عندما مرض غلام من اليهود، وكان هذا الغلام يخدمه، فلما علم بمرضه ذهب إليه ليزوره وجلس عند رأسه وقال: أسلم. فنظر الغلام إلى والده فقال له والده: أطع أبا القاسم. فأسلم الغلام، فخرج النبي سعيدًا وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار، هي لا تعلم الإنسانية التي كانت فيه، أرأيت السعادة التي كانت به عندما أسلم هذا الغلام لأنه هو كان السبب في أن ينقذه من النار، هي لا تعلم ذلك، هي لا تعلم أنه كان يعفو عن مسيئهم، لا تعلم أنه كان يحوارهم ويتواضع لهم ويجيب على أسئلتهم حتى لو كان مراد هذه الأسئلة العنت والمجادلة بالباطل، هي لا تعلم أنّه كان يدعو لهم بالهداية وصلاح البال عندما كان قومها يتعاطسون عنده يرجون أن يقول لهم يرحمكم الله فيقول لهم: يهديكم الله ويصلح بالكم. هي لا تعلم أنه عندما هاجر إلى المدينة كتب صحيفة المدينة ومحتواها بأنه سيعاملهم بالعدل وعدم الظلم لهم حيث جاء فيها: أنّه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم. هي لا تعلم أن أجدادها من أهل خيبر لما قتلوا

الصحابي عبد الله بن سهل رضي الله عنه لم يقض لهم بالدية ولم يعاقبهم على جريمتهم لأنه لا يوجد دليل واضح ضدهم وأنّه دفع ديته من أموال المسلمين، هي لا تعلم أنه منحهم حق التحاكم فيما بينهم إلى قوانين دينهم ولم يلزمهم بقوانين المسلمين، هي لا تعلم شيئًا عن هذه الآية: "فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا وإن حكمت بينهم فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين". (المائدة /٤٢)

هي لا تعلم أنه لما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يهوديًا أكلته السنون حتى هرم جالسًا في الطريق ويقول:

أحسنوا إلى الشيخ العاجز الضرير.

فقال له أمير المؤمنين:

أمن أهل الكتاب أنت؟

فقال له الرجل العجوز:

نعم، يهودي ألجأته الحاجة والسن إلى ما أنا فيه الآن.

فقال له أمير المرمنين:

هات يدك نواسك بما في أيدينا.

فذهب اليهودي مع أمير المؤمنين إلى بيته وكان اليهودي كفيفًا فجاء أمير ألمؤمنين بطعام ومال وأعطاه لليهودي وقال له:

خذ هذا، ولو كان عندنا في بيتنا خير منه لأعطيناك.

فقال اليهودي العجوز:

أحسن الله إليك أيها الرجل!

فنادى أمير المؤمنين على خازن بيت المال وقال له:

انظر إلى هذا فاقسم له من بيت المال ولا تأخذ منه الجزية، فوالله ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شابًا ثم خذلناه عند الهرم.

فسأل خازن بيت المال أمير المؤمنين:

أله خاصة أم له ولأمثاله؟

فرد عليه أمير المؤمنين:

بل له ولأمثاله، ونكتب بذلك إلى عمالنا في الأمصار إن شاء الله.
فقال خازن بيت المال لأمير المؤمنين:
السمع والطاعة يا أمير المؤمنين.
لم يصدق اليهودي أذنيه وظل يردد أمير المؤمنين، أمير المؤمنين، فالتفت أمير المؤمنين إلى خادمه أسلم وقال له:

خذ بيده حتى تبلغ به داره يا أسلم.
وأخيرًا هي لا تعلم أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالقسط والبر وحسن الخلق وأداء الأمانة مع اليهود وغيرهم حيث قال سبحانه:
"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين". (الممتحنة /٨)
ثم أردف قائلًا:
ملخص الذي قلته أنها تجهل محمد صلى الله عليه وسلم وتجهل أصحابه الذين تربوا على يديه وتخرجوا من مدرسته ولا تعرف عنهم شيئًا، لأنها لو كانت تعلم أي شيء عن محمد لقالت:
إن محمد لحبيب.
رن هاتفه فالتقطه بيده ونظر إلى رقم المتصل فهاجمته ابتسامة خفيفة وعمر يتابعه فضغط على زر الإجابه وقال والابتسامة لا تفارقه:
عائشة حبيبة قلبي.
عائشة:
أين أنت؟
حمزة:
أنا مع عمر.
عائشة:
والدتي تقول لك هل ستتعشى معنا الليلة أم لا؟
حمزة:

سأتعشى مع عمر.
عائشة:
إن شاء الله، بلغ سلامي الحار لعمر وذكره أن له أخت اسمها عائشة، فقل له أن يسأل عنها، هل تريد شيء مني؟
حمزة:
سلامتك.
وضع هاتفه على المنضدة والتفت إليه فوجده مرتبكًا وسأله عما به فقال له:
أريد أن أفاتحك في موضوع ولكن أسألك بالله لو كنت ستتضايق أو ستغضب مني فلن أتفوه بكلمة.
حمزة متعجبًا:
هل جننت؟ ومنذ متى أستطيع أن أتضايق منك؟!
طلب منه أن يتكلم فقرر أخيرًا أن يتكلم وحبات العرق قد ازدادت على جبينه فنظر إليه وقال له:
أريد أن أتقدم لعائشة وأريدها زوجة لي في المستقبل إن شاء الله.
فتح فاه ورفع حاجبيه من الدهشة فلقد تفاجأ من الكلمات التي خرجت منه، لاحظ وقع تأثير الكلمات عليه وقال له:
أنا أعلم أني ضايقتك ولكن أسألك بالله كأنك لم تسمع مني شيئًا وكأني لم أتفوه بكلمة، وأريدك أيضًا أن لا تأخذ مني موقفًا سيئًا، وأنا قررت أُفاتحك في هذا الموضوع بسبب العلاقة والعشرة التي بيننا، أنا متأسف جدًا.
قال كلمته الأخيرة وقام من مجلسه وأراد أن يعود إلى منزله فأمسكه حمزة من يده وقال له:
إلى أين أيها المجنون؟
قام حمزة من مكانه فوقف أمامه فظن أنه سيلكمه على وجه ويعطيه درسًا لا يُنسى بسبب ما قاله ولكنه ربت على كتفه واحتضنه وهمس في أذنه قائلًا:
مبارك لك يا أعز صديق لدي في هذه الدنيا، لو لففت الدنيا شبرًا شبرًا لن أجد شخصًا في أخلاقك ولن أجد أحدًا مثلك يصون أختي ويحافظ عليها، الحمد لله

أن الله استجاب لدعائي في الصلاة، كنت أدعوه دومًا أن يرزقك بها ويرزقها بك. لم يصدق عمره ما سمعه وكأنه في حلم، احتضن الاثنان بعضهما وخرجا من الكافيه وعاد كل منهما إلى منزله وعمر لم يصدق حتى هذه اللحظة رد فعل حمزة في هذا الموضوع.

يجلس عمر ووالدته ويبدو عليهم معالم الارتباك وتجلس بجانبه عائشة ووالدتها وحمزة، على الجهة الأخرى يجلس والده ووالدها مبتسمين.

الأستاذ سلطان:

والله نحن نشعر بالحرج الشديد، كنا نتمنى أن نفاتحكم في الأمر منذ مدة ولكن شاء الله أن يحدث ذلك، فلا نعلم من أين نبدأ.

الأستاذ عبد الرحمن:

ما الذي تقوله يا رجل، نحن عائلة واحدة وقد تشرفنا بزيارتك اليوم.

المهندسة سلمى:

كنا نريد أن نطلب يد ابنتكم ليد ابننا ونتمنى أن يحوز الأمر على قبولكم.

الأستاذ عبد الرحمن:

بإذن الله لن نختلف في أي أمر ولكن يجب أن يجلس العريس مع العروس أولًا حتى يتاوصلا كما تفترض الأصول، فالتفت إلى عمر قائلًا: ما رأيك أن تأخذ العروس إلى التيراس وتتبادلان الحوار حتى إذا تم القبول فيما بينكما نقرأ الفاتحة ونضع التجهيزات معًا للزواج.

احمر وجه عائشة بشدة.

عمر:

إذا أرادت العروس بالتأكيد سأتفق معك يا عمي، ولكن أنا لا أريد أن أسبب لها أي إحراج أو خجل.

الأستاذ عبد الرحمن متعجبًا:

ما الذي تقوله يا بني، أنا والدها وولي أمرها وقد أمرت بذلك، أتخالفيني يا عائشة؟

عائشة بتلعثم:

أبدًا يا أبي.

أخذ حمزة بيديها إلى التيراس وجلس أمامها ووجهها شديد الاحمرار.
عمر:
إذا كنت تشعرين بالضيق نستطيع أن ندخل سويًا أما إذا كنت لا تقبلين بي فأنا...
عائشة بارتباك:
أرجوك، أنا فقط أشعر بالخجل ولكني سعيدة، أتعلم، كثيرًا ما تعلمت أن أخفي مشاعري بداخلي، لم أشعر بالارتباك هكذا في حياتي من قبل.
عمر:
ولم الارتباك؟ يكفي أن أنظر إلى وجهك لأشعر أن هناك رابط يجمعنا، أتمنى أن أراعي الله بك وأن أبعد عنك أي أذى، وأن أحميك وأحبك وهذا سيكون وعدي لك.
عائشة:
أنت شخص في غاية الرقة، أخشى أن تندم في يوم على الارتباط بي، أنت تعلم كم أن هذا سيكسرني، أنا لا أعلم إذا كنت أحبك أم لا، ولكني شعرت اليوم بالسعادة والحنين، لا أريد أن يذهب هذا الشعور بعيدًا، إياك أن تتركني وحيدة.
عمر:
لن أفعل ذلك أبدًا، إنني أدعو الله أن أكون حاميكِ وراعيكِ، أنا شعرت بك منذ أول نظرة لك، شعرت أن هناك رابط بيننا لا يقبل الانكسار.
عائشة:
ولكن الزوج يريد خادمة ترعى شؤون حياته ومربية لأطفاله، أنت تفهمني، أليس كذلك؟
عمر:
أنا لا أريد خادمة ولا مربية فقد اخترت أن أتزوج أميرة لأكون أنا حارسها وخادمها وحبيبها، أتقبلين بي يا مولاتي؟
تبتسم فتنزل على وجهها دمعة خفيفة فلا يشعر بنفسه إلا وهو يمسحها وجلس على الأرض أمامها.

عمر:
قد لا تريني ولكنك تشعرين بدقات قلبي وهي يمزقها قطرات دمعك، أرجوك عديني بأنه لن يكون هناك دموع، عندما عشقتك عشقت ابتسامتك، عديني بأنك ستمنحينني لها دائمًا فأنا خادم ابتسامتك، عديني هيا.
عائشة:
أعدك.

مرت الأيام والشهور وقد تخرج الثلاثة من جامعتهم بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف، كانت العلاقه بين عمر وعائشة جميلة صافية لا يشوبها أي شيء، يحبها ويعشقها، منذ أن تخرج شعر بأن المسؤولية قد ثقلت عليه لكن لا يهمه ذلك، ظل يكافح ويبحث عن عمل هنا وهناك ويبحث عبر شبكة التواصل وظل يبحث عن شقة مستأجرة تكون مناسبة له ولزوجته، يريد أن يعمل ليشتري الأجهزة وأشياء الزواج التي اتفق عليها مع والدها، كان يتمنى أن يملك شقة خاصة به لأن هذا من أبسط حقوقها، يريد لها السعادة والاستقرار، يريدها سعيدة مثل أي فتاة لها بيتها ومأمنها.

يا عزيزي إذا أردت أن تمتلك شقة خاصة بك في هذه الأيام أمامك حل من اثنين واختر أيهما شئت، إما أن تعمل في يومك أربعة وعشرين ساعة لمدة خمسين عامًا أو يزيدون قليلًا، وتأخذ مرتبك وتجمعه ولا تصرف منه شيئًا وإما أن تكون لص كبير.

ظل يبحث ويبحث حتى وجد وظيفة حكومية بمرتب ليس بالذي يتمناه، توظف في هذه الوظيفة وكانت ورديتها ثمانية ساعات في الصباح، مرت الأيام رتيبة عليه، نظر في المرتب الذي كان يأخذه آخر الشهر وتأكد من أنه لا يسمن ولا يغني من جوع من هول ما هو قادم عليه، ظل يبحث عن وظيفة في أخر النهار ويسأل أصدقاءه، وفي يوم اتصل به صديقه ياسر وأخبره بأنه كلم والده عن الظروف التي يمر بها وأنه يبحث عن عمل إضافي، وأخبره أيضًا أنه ليس لديه مانع في أن يتوظف عنده، شعر عمر بالسعادة وشكر صديقه كثيرًا، ذهب إلى والده في شركته وأخبره بالتفاصيل كلها ثم توظف عنده.

ظل يعمل ليلًا ونهارًا، ينتظر أخر الشهر ليأتي ليأخذ مرتبه من الوظيفة الحكومية ومرتبه من شركة الاستيراد، كان يجمع ماله مع والدته ووالده ويساعدانه في ذلك، يجمعان له جزءًا من أموالهما بقدر ما يستطيعان ويضعانها مع أمواله، نما

ماله قليلًا وذهب به مع حمزة ليشتري بعض الأجهزة والأشياء الأساسية للزواج، وجد شقة بالإيجار مناسبة له ولزوجته، كان يجمع أمواله بقدر ما يستطيع، يحرم نفسه من أشياء أساسية منها أنه عندما جاء عيد الفطر المبارك، كان الكل يذهب ليشتري الملابس لكنه لم يشتر شيئًا، وقال في نفسه إن عائشة تستحق تضحية أكثر من ذلك، لا يريد أن يؤخر موعد الزواج حتى لا يصغر من نظرها ومن نظر عائلتها.

مرت عليه الأيام صباحها كمسائها حتى اقترب موعد الزواج فكان يتبقى على هذا الموعد أسبوعان، التقى بحمزة وأخبره أنه ليس معه مال ليحجز قاعة عقد القران، كل المال ذهب إلى تحضير الشقة والأجهزة بسبب غلائها، ربت على كتفه وخفف عنه وأخبره أن الله سيفرجها في أقرب وقت، افترقا الاثنان، وفي الطريق أمسك حمزة بهاتفه وظل يبحث عن اسمه حتى وجده واتصل به وسلم عليه وقال:

أريد أن أقابلك، هناك موضوع مهم أريد التحدث إليك به.

ظل ينادي عليه من تحت بيته بصوت مرتفع، خرج إليه من التيراس وطلب منه أن ينتظر قليلًا، وبعد دقائق نزل من بيته وركب معهم السيارة، ظل يسأل طوال الطريق عن المكان الذين سيذهبون إليه، ما استفاد شيء وما عرف جوابًا لأن صاحباه ما أجاباه وما أراحاه، وبعد لحظات وقفت السيارة ونزل الثلاثة منها، مشي معهما إلى داخل هذا المكان وهو شاردًا لا يفهم شيئًا، سأل حمزة عن مدير هذا المكان فأخبروه أن يصعد الدور الأول في أول مكتب عن اليمين، صعد الثلاثة وظل عمر يسأل حمزة ويقول: ماذا سنفعل هنا في هذا المكان؟ لم يرد عليه وكان هذا سبب قلقه وتوتره، وصلوا إلى المكتب واستأذنوا فأُذن لهم، دخل الثلاثة إلى مدير هذا المكان فرحب بهم وأجلسهم، وضع حمزة يده في جيبه وأخرج مالًا كثيرًا، ثم التفت إلى صديقه ياسر فأومأ برأسه، ثم وضع هو الآخر يده في جيبه وأخرج مالًا أكثر من الذي أخرجه حمزة ثم قام وأخذها منه، وعمر ينظر إلى هذا وذاك مذهولًا لم يفهم شيئًا، وضع المال على مكتب المدير وقال: هذه الخمسة آلاف جنيهًا يا سيدي إيجار قاعة عقد القران، سيكون عقد القران

في الموعد الذي اتفقت معك عليه، أخرج المدير الدفتر الذي يسجل فيه مواعيد عقد القران وسأله:
ما اسم العريس؟
التفت حمزة إلى عمر مبتسمًا حتى بدا بياض أسنانه وقال في حنان بالغ:
عمر، عمر سلطان.
مدير القاعة:
واسم العروس؟
ظل حمزة على وضعه وقال:
عائشة عبد الرحمن.
مدير القاعة:
بارك الله لهما وبارك عليهما وجمع بينهما في خير إن شاء الله.
لم يغلق فاه من الذهول، ترقرقت الدموع في عينيه، يريد أن يقوم ويأخذه ويحضنه ويقبله، اقترب حمزة منه ووضع يده في جيبه وأخرج منه شيء لم يتوقع ولم يخطر على باله قط.
رأى جواز سفره وجواز سفر حمزة وجواز سفر عائشة، وفي وسط هذه الجوازات تذاكر السفر، ثم رفع نظره وقال:
هذه هديتي إليك أنت وزوجتك، بعد شهر من زواجكما سنذهب أنا وأنت وزوجتك إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك العمرة، كتب الله لنا أن نؤدي مناسك العمرة معًا، ونسلم على حبيبنا صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر معًا.
لم يتمالك نفسه، وضع وجهه بين يديه وجلس وظل يبكي فرحًا وصديقاه يهدئانه، ظل يشكرهما كثيرًا ومدير القاعة يدعو لهم، سأله عمر من أين آتي بجواز سفره، فأخبره أنه ذهب إلى والده وحكى كل التفاصيل فأعطاه إياه وانتهى من الإجراءات وطلب منه أن يَكتم عنه، لم يشعر بنفسه إلا وهو في أحضان صديقيه يدعو لهما ويتمنى لهما الخير ولكن كان هذا الحضن له مذاق آخر.

نزلوا من الحافلة أمام ساحة الحرم المكي، كانت هناك مساحات شاسعة من الأرض المبلطة بالرخام، الحمام الذي يتجول فوقه بحرية وهو يبحث عن طعامه، عبروا باب الملك فهد الذي هو من أكبر أبواب الحرم، كان الحرم هائلًا من الداخل، مساحات شاسعة كأنهم قد دخلوا قصرًا عظيمًا، وأعمدة الحرم الدائرية المختمرة بنسائم الصالحين تعطي للمكان جمالًا ورونقًا، الجدران مزينة بالآيات القرآنية واللون الأبيض يملأ كل شيء، ساروا في طريقهم، رأوا الليل في نهاية الممر المؤدى لصحن الحرم، يا لجمال هذا المكان، لم يروه من قبل بتلك الروعة، اقتربوا أكثر وأكثر، وعندما اتسع مجال الرؤية ليكتشفوا أن ما كانوا يظنونه سواد الليل هو سواد كسوة الكعبة الشريفة، رأوا الكعبة، وقفوا متسمرين، تنهال دموعهم في صمت، تنتظرهم من بعيد وكأنها على شوق للقائهم كأنه لقاء محبين وليس مجرد رؤية، كانت كبيرة ومهيبة وأنيقة بردائها الأسود، المئات يمرون من حولهم منهم العربي والأعجمي، ملامح الإجلال والخشية مرتسمة على الوجوه كأنهم يرون الله أمام أعينهم، تدمع أعينهم وتخشع أبصارهم وتنحني رقابهم، تعجبوا من رجل كان بجانبهم يرفع يديه بشكل ملفت ويبكي بكاء لم يروه على أحد من قبل، ويدعو الله بذل وانكسار لو قُسّم على هؤلاء الحاضرين لوسعهم، كل له همه يقذفه إلى الله، وجدوا خزانات مياه فاتحة اللون منتشرة في كل مكان، إنها ماء زمزم، ذهبوا إليها وشربوا منها وكل منهم يأخذ رشفته ببطء متذوقًا طعمه، لم يكن هذا الماء شبيهًا بالمياه العادية، هناك مذاق مائع فيه، دعوا الله وهم يشربوا أن يرزقهم الجنة، أما عائشة فقد زادت من دعائها ودعت أن الله يرد عليها بصرها لكي لا يحرمها من هذه اللحظات، طلبت منهما عائشة أن يذهبا بها لتكون عند أستار الكعبة بجانب الركن اليماني، فلبوا طلبها وطلبت منهما أن يتركاها وحدها فرفضا ولكنها ألحت عليهما فأخبراها أنهما سيطوفان وعندما يأتيان إلى الركن اليماني يطمئنان عليها، كانت سعادتهم لا توصف وهما

يتشابكان ويطوفان مع بعضهما، رأيا نفس الحمام الذي رأوه في الخارج، كان يدور حولهما وكأنه سعيد بهما، بعضهم يهبط ليمشي بوقار وبعضهم يبحث عن الحب، الحب الذي من الممكن أن يكون فقدوه ووجدوه في هذين، وهما يطوفان تخيلا أشياءً ورأيا أشياءً أخرى، في هذا المكان شاهداه صلى الله عليه وسلم وهو يقف على باب الكعبة، سمعا صوته وهو يقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء . كأنه يخاطب هذا الجمع وكان هذا الجمع في سجن فأصبح طليقًا يروحون هنا وهناك ويطوفون ويسعون، شاهداه وهو ساجد وهم يلقون على ظهره جذور الإبل فيظل ساجدًا لا يتحرك حتى تأتي الزهراء فتزيل هذه القاذورات التي وُضعت فوق ظهره وهي تبكي، سمعا صوته وهو يقول لها: إن الله ناصر أباك. شاهداه وهم يستهزئون به في هذا المكان الذي يطوفون فيه الآن وسمعا صوته وهو يقول: أتعلمون يا معشر قريش والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح. شاهدا رفقه وشدته، شاهدا حزنه وهو يقول في نفس المكان عندما رأى عذاب أبي جهل لآل ياسر: صبرًا صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. شاهدا حزنه وهو يقول خارجًا من مكة والدمع يترقرق في عينيه: إنك لأحب بلاد الأرض إلى قلبي ولكن قومي أخرجوني منك. شاهدا فرحته عندما أسلم عمر وهو يخرج فخورًا سعيدًا بين صفين يقودهما حمزة وعمر، تخيلوا نفسيهما وهما متشابكان ويطوفان بأنها حمزة وعمر رضي الله عنهما وهما متشابكان أيضًا ويطوفان حول الكعبة ليحميانه صلى الله عليه وسلم، أما عائشة فأغلقت عينيها لتتخيل الكعبة، استندت برأسها ويديها على أستارها وظلت تدعو بحرقة، شعرت أنها خارج نطاق الزمان والمكان وشعرت بقلبها يرق ويخشع وشعرت بنفسها تبكي أمام كل هذه العظمة، لم تشعر في حياتها بقربها من الله كما شعرت في هذه اللحظات، دعته من كل قلبها، شعرت بالطمأنينة والأمان، شعرت بأن الملائكة من حولها يحيطون بها ويظللونها بأجنحتهم، وبعد دقائق من هذه اللحظات الرائعة التي مرت عليها، سمعت صوتًا جميلًا يقول لها افتحي عينيك، كأنه صوت ملك من الملائكة، فتحت عينها فرأت سوادًا، ولكن هذا السواد ليس سواد الظلمة والكفاف، إنه سواد من شيء آخر.

أخذت تفرك عينيها غير مصدقة، وتتلفت وترمق ما حولها بذهول وافتنان، اختطلت عليها المشاعر في هذه اللحظة فخافت أن تفرح ثم تكتشف لاحقًا أن هذا مجرد حلم، ظلت ترمق ما حولها بذهول، وجوه الناس وخشوعهم، سواد كسوة الكعبة وكأنه يشع نورًا، الركن اليماني الذي يتاهفت الناس عليه، كانت تلتهم كل ما يقع عليه عيناها فترى الألوان وكأنها دافئة مفعمة بالحياة، رفعت بصرها إلى السماء وكأن السماء تقول لها اطمئني، هذا ليس بحلم إنها حقيقة.
ما أروع هذا العالم، وما أروع هذه الحياة.
بعدما تأكدت أنه ليس بحلم وأن صوت السماء طمأنها، صرخت بأعلى صوتها: حمزة، عمر، إني أرى، سمعا صوتها لأنهما كانا قريبين منها، هرولا إلى الركن اليماني فوجداها تبكي من الفرحة وتقول لهم بفرحة هستيرية: إني أرى، إني أرى . فتحا فميهما من الذهول غير مصدقين ما هم فيه الآن، وقفت أمامهما وهي تنظر في وجهيهما، كأنها تراها لأول مرة وكأنها أوحشتها، التفتت إلى زوجها ولمست وجهه بكفها وقالت مبتسمة:
لم أعرف أنك جميل ورائع هكذا.
ثم التفت إلى أخيها والدموع تغرق خديه غير مصدق لما يراه ولما يحدث أمامه: الدموع التي تنزل على خديك هي أغلى عندي من كنوز الدنيا.
وبعد أن أطلقت هذه الكلمات انكبت في حضنهما، ضماها إليهما ضمة شديدة وظلا يقبلاها على رأسها وهم يبكون بحرقة، ثم سجد الثلاثة سجدة لم يسجدوها قط في حياتهم.

في الطريق إلى المدينة هبت نسائمها عليهم فأحسوا بالسكينة والراحة تأتيهم من كل حدب وجنب، لمح حمزة المسجد النبوي الشريف فالتفت إلى عمر وعائشة متهللة أساريره فسألاه: ما شأنه؟! فأخبرهما أنه قد شاهد المسجد النبوي للحظات فظل الثلاثة على شوق وتسليم للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا إلى مزار جبل أحد.

عندما وصلوا إلى هذا المكان صعدوا على جبل الرماة وشاهدوا الجبل العظيم الذي كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحبه النبي وصحبه، شاهدوا غزوة أحد تحدث الآن مرة ثانية وكأنهم يشاهدونها بأم أعينهم، في هذا المكان استشهد سبعين من أصحاب رسول الله منهم عمه حمزة بن عبد المطلب أحسوا وهم على جبل الرماة كأنهم نفر من الرماة، سمعوا صوت رسول الله يتردد في الآفاق وكأنه موجه إليهم بأن لا يبرحوا أماكنهم ولا يتحركوا من مكانهم حتى ولو رأوا الجيش يتخاطفه الطير، سمعوا قرع خيل خالد بن الوليد وهي تطوق جيش المسلمين من الخلف مارين بجبل الرماة يريدون أن يقتلوا النبي وأصحابه، خالد بن الوليد الذي خرج وهو يريد أن يعرف كيف يقاتل محمد؟ وكيف يخطط؟ كيف استطاع في بدر بشرذمة قليلة لا تتعدى الثلاثمائة رجل أن يهزموا جيش يتعدى الألف رجل ويزيد ويقتلوا شرفائهم وسادتهم؟! لقد شاهدوا بعد تطويق خالد للجيش أبو دجانة رضي الله عنه وهو يحيط برسول الله ويأخذه بين أحضانه، شاهدوا السهام وهي تنزل على ظهر أبو دجانة كأنها المطر، سمعوا أبا بكر وهو يقول: حتى رأينا ظهر أبي دجانة وكأنه قنفذ من كثرة السهام التي وقعت عليه. شاهدوا بطولات حمزة بن عبد المطلب وهو يهد المشركين بسيفيه هدًا، نظروا إلى وحشي وهو يقترب منه ويهز حربته، شاهدوا الحربة وهي تطير حتى استقرت في بطن أسد الله ورسوله، شاهدوا رسول الله وهو يسقط في الحفرة التي أعدها أبو عامر الفاسق له فوقع فيها وجحشت

ركبته واحضتنه طلحة بن عبيد الله، شاهدوا عتبة بن وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو يرميه بالحجارة فأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، شاهدوه وهو يُجش في جبهته من عبد الله بن شهاب الزهري، شاهدوه وهو يُضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة شكا لأجلها أكثر من شهر من فارس عنيد اسمه عبد الله بن قمئة إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين، شاهدوه وهو يُضرب على وجنته ضربة عنيفة أخرى من نفس الفارس العنيد حتى دخلت حلقات من حلق المغفر في وجنته وقال: خذها وأنا ابن قمئة، سمعوا صوته وهو يرد عليه: أقمأك الله. شاهدوه صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه الشريف ويقول: كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله. شاهدوه صلى الله عليه وسلم وهو يرفع يده إلى السماء والدماء تسيل على وجهه قائلًا: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، شاهدوا طلحة وهو على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تجمع المشركون حوله يريدون قتله، شاهدوه صلى الله عليه وسلم وهو يعطي السهام لسعد بن أبي وقاص وهو يقول له: ارم سعد فداك أبي وأمي.

كل هذا بسبب تطويق خالد ين الوليد للجيش.

خالد بن الوليد سيف الله المسلول! خالد بن الوليد الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله خالد بن الوليد أخا العشيرة! خالد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين! خالد بن الوليد الذي كان من الأسباب في فتح العراق والشام الذي قال عنه خليفة رسول الله: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد. خالد بن الوليد الذي عندما وقف أمام الحيرة فاتحًا لها قال والدموع تتناثر من عينيه: أخيرًا الحيرة! فوالله لقد رأيت رسول الله يبشر بها وهو مستند بظهره إلى الكعبه في أيام دعوته الأولى والقوم ما بين مصدق ومكذب ومستهزء فلم يخطر لي على بال أني أكون من يفتحها، فاللهم لك العفو على ما فات ولك الحمد على ما عقبت عليه! خالد بن الوليد الذي قال في يوم من أيام غزواته: والذي بعث محمد بالحق لليلة جهاد في سبيل الله تكون شديدة البرد نخرج إلى العدو نضرب أعناقهم ويضربون أعناقنا أحب إليّ من

ليلة دافئة يهدى إليّ فيها بعروس! نعم خالد بن الوليد يجري الجهاد في سبيل الله مجرى الدم في عروقه، خالد بن الوليد الذي اقتحم في طلب الشهادة في يوم اليمامة حتى أعذر وصبر حتى ظفر حتى قال له أصحابه: الله الله في نفسك يا خالد إنك أمير القوم ولا ينبغي لك أن تتقدم وتقحم فإنك إن أُصبت وهن القوم. فيرد عليهم قائلًا: والله إنى لأعرف ما تقولون ولكني لا أراني أصبر وأخاف هزيمة المسلمين ولو كانت الشهادة أقرب إلى من يتقدم ويقتحم في العدو لكان خالد أول من استشهد! خالد بن الوليد الذي وقف على صنم العزى يوم فتح مكة، هذا الصنم الذي كان يعبده بالأمس وقف عليه وقال: يا عزى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك. خالد بن الوليد الذي قال وهو على فراش الموت: ما في جسمي موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء! خالد بن الوليد الذي بكاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوم مات بكاءً شديدًا وقال: على أبي سليمان تبكي البواكي فلقد كان والله سدادًا لنحور العدو ميمون النقيبة، رحمه الله ما عند الله خيرًا له مما كان فيه، ولقد عاش حميدًا ومات فقيدًا. كل هذه الهواجس طرقت على قلوبهم حتى تمتمت عائشة قائلة:

يا خالق خالد بن الوليد سبحانك!

نزل الثلاثة من على جبل الرماة متوجهين إلى ساحة الشهداء، الساحة التي دُفن فيها سبعون من أصحابه صلى الله عليه وسلم يوم أحد، توجهوا إلى قبر عم رسول الله وسلموا عليه، وقفوا يتأملون الحمام وهو ينزل على قبره في طمأنية وسلام، لقد جاء النبي مرة أخرى وشاهدوه، شاهدوه وهو واقف أمام عمه حمزة يبكي منتحبًا على ما فعلته قريش بعمه وتمثيلهم به، سمعوا صوته وهو يقول: لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، لن أصاب بمثلك أبدًا، ما وقفت موقفًا قط أغيظ من هذا. سمعوه وهو يمدحه ويقول: أخبرني جبريل بأن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في السماوات السبع، حمزة أسد الله وأسد رسوله. شاهدوه وهو يقف على مصعب بن عمير، أعطر فتى في مكة، وشاهدوا أصحابه وهم لم يجدون

ما يكفننونه به، كلما غطوا وجهه ظهرت قدمه وكلما غطوا قدمه ظهر وجهه سمعوا صوته وهو يقول حزينًا: غطوا وجهه بثوبه واجعلوا على رجليه نبات الأُذخر. شاهدوا سعد بن الربيع ويحمله أحد أصحابه من قومه الأنصار ويقول وهو في رمقه الأخير: أبلغ قومك مني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله شيئًا وفيكم عين تطرف. شاهدوه وهو يمشي بين أصحابه الشهداء ويقول باكيًا: أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يُجرح في سبيل الله إلا ويبعثه يوم القيامة يدمي جرحه اللون دم والريح ريح مسك، انظروا أكثرهم جمعًا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر.

مر كل هذا أمام أعينهم وكأنهم يشاهدون هذه الأحداث حتى جاء المسؤول عن الرحلة وناداهم أن يركبوا الحافلة ليتوجهوا إلى المسجد النبوي.

شعور الانكسار والذل الذي نشعر به ونحن في بيت من بيوت الله، ألا يعني هذا شيء؟ ألا يقودنا إلى أشياء كثيرة وليس شيئًا واحدًا، هذا الإنسان بجبروته وكبريائه وعزة نفسه حينما يقف أمام بيت من بيوت الله لا يشعر إلا بنفس ذليلة منكسرة، لا يشعر إلا بإنسان ضعيف لا حول له ولا قوة، لا يشعر إلا والدموع تذرف من عينيه لتبلل وجنتيه لتغسل ذنوبه وتريح قلبه، ولتؤكد له حقيقة واحدة أنه إنسان ضعيف ذليل بحاجة لهذا الموقف من وقت لآخر.

هذه النسمات الروحانية كانت تداعب وجدانهم عندما شاهدوا المسجد النبوي ووقفوا أمامه مبهورين مذهولين، غمرتهم السكينة من قمة رؤوسهم إلى أخامص أقدامهم، تذكروا أن بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمتار قليلة، فتوجهت عائشة إلى المكان المخصص للنساء، وتوجه الاثنان مسرعين إلى باب السلام.

أخذهم جمال وروعة المكان، وبينما هما سائرين إلى حلمهم الأعظم التفتوا على يسارهما ورأوا الروضة الشريفة وهي يتهافت عليها الناس لدخولها كالجراد المنتشر وكأنهم سيدخلون الجنة، ولم لا وهذا المكان في الحقيقة جزء من الجنة كما أخبرنا الحبيب صلى الله عليه وسلم حتى اقتربا ورأيا حجرات زوجاته صلى الله عليه وسلم الأبواب الكبيرة الخضراء ومن فوقها آيات القرآن الكريم بها فتحات صغيرة، معظم الناس يطأطئ رأسه لينظر بداخلها ويسلموا على رسول الله وزوجاته، اقتربا أكثر وأكثر وقلبيهما يدقان حتى وقفا أمامه، لم يستطيعا أن يتمالكا نفسيهما فانهمرا في البكاء، وقف كل منهما أمامه وتمتا بكلمات مؤثرة.

حمزة باكيًا:

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نبي هذه الأمة، أشهد الله أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت للأمة فكشف الله بك الغمة، فجزاك الله خيرًا ما جزى به نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته

ورسالته، أوحشتني يا رسول الله، لأن أنظر إلى عينيك ثانية واحدة أحب إليّ من ملْء الأرض ذهبًا.
عمر باكيًا:
السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نبي هذه الأمه، أشهد الله أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت للأمة فكشف الله بك الغمة، فجزاك الله خيرًا ما جزى به نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته، أوحشتني يا رسول الله، كم أتمنى أن يلامس جلدي جلدك كما فعل سواد رضي الله عنه معك قبل معركة بدر عندما كنت تمر لتعدل الصفوف وفي يدك قدح فوجدته مستتل من الصف فطعنته في بطنه بالقدح وقلت له: استو يا سواد. فقال لك: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق فأقدنى . فكشفت له عن بطنك وقلت: استقد فانكب عليك واعتنقك وقبل بطنك. فقلت له: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال لك: يا رسول الله قد حضر ما ترى ولم آمن القتل فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك.
خطا الاثنان خطوات قليلة حتى وقفا إلى خليفة رسول الله أبي بكر قائلين:
السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صديق هذه الأمة، نشهد الله أنك قد صحبت رسول الله وأحسنت صحبته فجزاك الله خيرًا ما جزى صاحب نبي عن دعوته ورسالته، ثم مشى الاثنان خطوات قليلة حتى وقفا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قائلين:
السلام عليك يا عمر بن الخطاب، السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا من فرق الله بك بين الحق والباطل، السلام عليك أيها العادل الرحيم، السلام عليك يا من ضربت للدنيا أروع الأمثلة في العدل والرحمة، نشهد الله أنك قد صحبت رسول الله وأحسنت صحبته فجزاك الله خيرًا ما جزى به صاحب نبي عن دعوته ورسالته.
انتهى الاثنان من السلام على أطهر الخلق والبرية وانتهيا من السلام على أفضل البشر بعد الأنبياء، كان حمزة يتقدم عمر ولكنه سمع اسمه ينادى عليه من صوت يعرفه جيدًا ويقول له: أنقذني يا حمزة وما شعر نفسه إلا هو منكب

عليه في فزع وخوف.
بعد أن خرج عمر من الباب وحمزة أمامه وقع مشغيًا عليه، تجمع الناس مذعورين حوله، منهم من يحاول إسعافه، ومنهم من طلب أن ينقلوه إلى المسشفى ليروا ما به، انكب حمزة فوقه وظل يهزه هزًا شديدًا وينادي عليه حتى جاءت سيارات الإسعاف ونقلوه إلى المسشفى، اتصل بعائشة وأخبرها فلحقت به في المستشفى، كان التعب يبدو على وجهه ومع مرور الدقائق أصبح وجهه شاحبًا ذابلًا، فتح عينيه وحدق في حمزة وعائشة وقال بوهن: لا تتركاني ابقيا معي حتى أخر رمق، حتى أملأ عيني من النظر إليكما، اغرورقت عيونهما وعانقاه وسط دموع الحاضرين من الأطباء والممرضات، شعر حمزة بحرارة جسده ونبض قلبه كما لم يشعر من قبل، وصلت كلماته الأخيرة متقطعة هامسًا في أذنيه:
على سرر متقابلين.
فثقلت رأسه وأحس بها في صدره فعلم أن روحه قد خرجت إلى بارئها.
لم يشعر بنفسه إلا وهو يصرخ صرخة مريعة وهو في حضنه وظل يصرخ ويصيح كالأطفال، هرولوا الأطباء مفزوعين من الصياح والصرخات وكل المحاولات باءت بالفشل في أن يأخذوه من حضنه، لأنه كان متمسك به بقوة أما عائشة فقد ظلت تنظر إليه وعيناها مفتوحتين حتى وصل الحال إلى أنها لا ترمش، لا بكاء، لا دموع، لا صرخات، جاءت مجموعة من الشيوخ ليغسلونه وقد بدأوا في ذلك وحمزة معهم يشاركهم، لفت انتباه الشيوخ نشيجه وبكاؤه الرهيب، أما دموعه فكانت تجري بلا انقطاع، كبير الشيوخ كان يذكره بين لحظة وأخرى بعظم أجر الصبر، كان لسانه لا يتوقف عن قول: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه الكلمات كانت تريح الشيخ قليلًا، وبعد لحظات زاد البكاء عن حده حتى أفقد تركيز الشيخ وهو يغسله فرمقه وقال له: إن الله أرحم بأخيك منك. التفت نحوه وقال: إنه ليس أخي. ألجمت هذه الكلمات الشيخ، مستحيل بعد هذا البكاء وهذا النحيب، ثم أردف قائلًا له: نعم إنه ليس أخي، لكنه أغلى وأعز عليّ من أخي. سكت الشيخ وظل يرمقه بتعجب ثم استطرد قائلًا: إنه صديق الطفولة،

زميل الدراسة، نجلس معًا في الصف وفي ساحة المدرسة وفي البيت نلعب سويًا، تجمعنا براءة الأطفال مرحهم ولهوهم، كبرنا وكبرت العلاقة بيننا، أصبحنا لا نفترق إلا دقائق معدودة ثم نعود ونلتقي حتى شبهنا الناس بأننا كرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الذين كانوا لا يفترقان إلا دقائق معدودة، تخرجنا من مرحلة الثانوية معًا، ثم من مرحلة الجامعة معًا، عشنا معًا أفراحنا وأحزاننا، يزيد الفرح عندما يجمعنا وتنتهي الأحزان عندما نلتقي اشتركنا في الطعام والشراب، تزوج أختي، نذهب سويًا ونعود سويًا، واليوم...

توقفت هذه الكلمة على شفتيه ثم أجهش في البكاء، ثم رفع نظره إليه وقال سائلًا: يا شيخ أسألك بالله هل يوجد مثلنا في هذه الدنيا. فرد عليه الشيخ: لا ورب الكبعة لم أر في الدنيا مثليكما قط.

انتهوا من غُسله وأقبل حمزة إليه يقبله حتى كاد أن ينشق من شدة البكاء، ظن الشيخ أنه سيهلك في هذه اللحظة فظل يقبل وجهه ورأسه ويبلله بدموعه، أمسك به الحاضرون وأخرجوه لكي يصلوا في المسجد النبوي ويدفن في البقيع.

حلمك يا عمر الذي رسمته على لوحة قد حققه الله لك.

رحمك الله.

بعد وفاته بقليل انطوى حمزة على نفسه وظل أغلب الوقت يجلس في غرفته كئيبًا ويبكي بكاءً شديدًا، لقد أخذ قلبه معه إلى قبره، انعزل عن العالم والناس لفترة طويلة، ظل أهله وأصدقاؤه يحاولون أن يخرجوه من حالته ولكن ذهبت محاولاتهم هباءً منثورًا، وفي ليلة من الليالي وهو جالس في غرفته أخرج كل صوره التي تجمعه معه وتذكر كل موقف وهو يبكي بحرقة، ظل يتمتم ويكلم نفسه باكيًا:

لماذا يا صديقي الغالي؟ لماذا ذهبت بهذه السرعة؟ لماذا خرجت بهذه الصورة المؤلمة؟ لحظات وكأنها مرت كلمح البصر، لا أستطيع أستوعب ما حدث، كل المشاهد تمر أمام عيني الآن دفعة واحدة بحلوها ومرها، أجبني، أرحني، هل أنا كنت السبب في موتك؟ هل أنا كنت السبب في هذا عندما حققت حلمك؟ أم إنه القدر الذي قذفني في طريقك لأكون أنا السبب في نهاية حياتك؟ لا أدري

بما أعزي نفسي، أعلم أنك تجيبني وأعلم أنك لن تأتيني، يا لِهذا العالم ويا لهذه الدنيا، ما هذا يا عمر؟! لحظات وانقطعت كل صلة لك بهذه الدنيا وكأنك لم تولد فيها، أشعر بنار في صدري بلا لهب وقودها ذكرياتنا وفتيلها لحظات أنهت حياة إنسان عاش للناس ففرح لفرحهم وحزن لحزنهم وأعان الكثير منهم وعاش لله فأعطاه حقه فكان لا يعرف طريقًا لله إلا وذهب إليه مسرعًا كإسراع النسر لاصطياد فريسته، فتيلها لحظات أنهت حياة إنسان كان قلبه أطهر من النقاء وأصفى من الماء، دائمًا تأتي لتُؤرق منامي ولكن أتمنى من كل قلبي أن تعود للحظات لأقول لك أني أحبك ولن أنساك، كل من حولي ليس فيهم من يساويك، لو كان أحد غيرك ربما لم أكن لأحزن بهذا القدر، رحمك الله رحمة واسعة.

قال كلماته هذه ووضع كل ما في يديه جانبًا وظل يتذكره حتى غفا قبيل الفجر بقليل.

جاءه عمر مرتديًا ثيابًا بيضاء وكأنها تشع نورًا، يبتسم ابتسامته الجميلة، انكب في حضنه وظل يبكي، أخبره أن رحمة الله نزلت عليه ولكن بعد أن مر بمواقف يشيب الطفل الصغير منها، أخبره أنه عندما وضعوه في قبره رأى منزله من الجنة ومنزله من النار، وجاءه ملكين وأخبراه أن النار كانت ستكون منزله إن عصى الله، وأخبره أن هذا منزله من الجنة لأنه أطاع الله، أخبره أنه عندما جاوب على أسئلة الملكين أُفسح في قبره وامتد مد بصره، أخبره أن القبر ضمه ضمة كأنها ضمة والدته عندما يرجع من سفره، أخبره أنه عندما وقف أمام الله ووقف أمام الميزان كانت كفتاه متساويتين فارتعب وخاف خوفًا شديدًا لكي لا يذهب إلى النار، أخبره أنه وجد بطاقات صغيرة وضعت على كفة حسناته فثقلت كفة الحسنات، هذه البطاقات مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أمره أن يقول هذين الذكرين كثيرًا لأن هذين الذكرين يثقلان الميزان، أخبره أنه لا يدري متى قالها ونساها ولكن الله ما نسيها، أخبره أنه عندما تطايرت الصحف وجد أناسًا يأخذون صحائفهم بشمالهم ومنهم من أخذها من وراء ظهره، فسمع المنادي خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه، أخبره أنه من الناس الذين التقطوا صحائفهم بيمينهم

وعندما التقطها ظل يمشي في الناس صارخًا فيهم ويقول: هاؤم اقرءوا كتابيه، أخبره أنه عندما ذهب إلى الحوض رأى النبي صلى الله عليه وسلم ورأى أبا بكر وعمر، رأى عمر واقفًا على الحوض يملأ أكوابه التي عددها كنجوم السماء ويعطيها لأبي بكر فيأخذها أبو بكر ويعطيها للنبي، وقفت أمامه وهو يقول لي: اشرب. أخبره: أن الظمأ كان سيقطع عنقه. أخبره: أنه شرب من يده الشريفة شربة هنيئة لم يشربها قط قبل ذلك من حلاوتها ومذاقها. أخبره: أنه قد وجد أناسًا ذهبوا إلى حوض النبي ليشربون لشدة عطشهم فردهم النبي قائلًا: سحقًا سحقًا بعدًا بعدًا. أخبره أنه عندما نصب الصراط على ظهر جهنم وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف وجد أناسًا يتساقطون منه إلى قعر جهنم ووجد أناسًا يزحفون عليه ووجد أناسًا تخطفهم الكلاليب. أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على أخر الصراط وعندما يمر كل شخص يدعو ربه ويقول يا رب سلم يا رب سلم. أخبره: أنه رأى رجلًا يزحف عليه ويقاوم حتى لا يسقط في النار، ولكنه كان يصلي ويسلم على النبي كثيرًا فجاءته هذه الصلاة وشفعت له ومر من على الصراط بسلام. أمره أن يصلي ويسلم على النبي كثيرًا، لأنها ستنفعه في هذا الموقف، أخبره: أنه وجد أناسًا يمرون على الصراط كطرفة العين وكالبرق وكالريح وكالجواد المسرع ومنهم من يمر عليه ماشيًا وزاحفًا. أخبره: أن الله قد من عليه أن جعله من الذين مروا على الصراط كالبرق حتى وصل إلى باب الجنة. أخبره: أنه عندما وضع أول قدم له في الجنة ظل يتراقص فرحًا ويمشي متبخترًا، رأى فيها غرفًا يُرى باطنها من ظاهرها ويُرى ظاهرها من باطنها . أخبره: أنه سمع رسول الله وهو يتلو القرآن. أخبره أنه جلس مع أبي بكر وعمر وتحدث معهما، عمر بن الخطاب يا حمزة قدوتك الحسنة، لو رأيته ستأخذك الهيبة وأنت تطالع فيه. أخبره: أن في الجنة أنهار من عسل وأنهار من خمر لذة للشاربين. أخبره: أن في الجنة حور عين لو اطلعت واحدة منها بوجهها على هذه الدنيا لأحرقتها من جمالها ونور وجهها. أخبره: أن الله رزقه ببيت في الجنة من ذهب. وأخيرًا أخبره: أن الله قد اطلع بسبحات نور وجهه على أهل الجنة وكشف الحجاب عنه فسجد أهل الجنة أجمعون له.

جدي حبيبي، جدي حبيبي.
قالاها وهما يقفزان عليه بعد أن دخلا غرفته ومن ورائهما والديهما، أغلق الكتاب الذي بين يديه وكان الكتاب على صفحة (إخاء النبي للمهاجرين والأنصار)، وظل يداعبهما ويقبلهما ويمسح على شعرهما، فملأ عينيه منهما فالتفت إلى كل منهما وقال في حنان:
كيف حالك يا بلال؟ كيف حالك يا جويرية؟
بلال وجويرية هم أحفاده، فلقد تزوج ابن عمر (عمار) من ابنته (حفصة) التي أنجبها من زوجته (ندى) التي هي أخت صديقه ياسر.
اجتمعوا حوله، عمار وحفصة وبلال وجويرية وندى، ظل يحدثهم ويمازحهم ويتحدث معهم عن أخر أخبارهم وعن حياتهم الزوجية، مرت أكثر من نصف ساعة وهو يجلس معهم، طلب منهم فجأة أن يخرجوا ويتركوا جويرية معه، استغربوا من طلبه وسألوه ولكنه ألح عليهم ذلك، لبوا طلبه وخرجوا جميعًا خارج غرفته وجلسوا في صالة البيت، بقيت جويرية معه، ظل ينظر لها ويبتسم، هي أكثر الناس به شبهًا، هي التي تذكره به، ظل يمازحها ويداعبها، أخذ القرآن الكريم الذي بجانبه وظل يعلمها سورة الإخلاص والمعوذتين، طلب منها أن تجلس مكانه على سريره ولا تذهب إلى أي مكان وأخبرها أنه سيدخل ليتوضأ ليصليا معًا، فرحت بذلك، فدخل ليتوضأ ثم خرج ودخل عليها فوجدها تمسك القرآن وتتلو الآيات التي علمها إياها منذ قليل، أمسك بسجادته وفرشها على الأرض فقفزت من مكانها ووقفت بجانبه، طلب منها أن تفعل ما يفعله هو بالضبط.
بدأ يصلي وهي بجواره تستمتع بالذي تفعله حتى جاءت الركعة الثانية فركع وسجد ثم قام من سجوده وسجد السجدة الثانية، ظلت تنتظره ليرتفع من سجوده ولكنه ما فعلها، ملت من طول السجود فرفعت رأسها وقامت إليه

وأخذت تضربه على ظهره ببراءة وتقول: جدي جدي جدي ما بك؟ لم يجبها وظل في سجوده وكأنه متلذذ به، فزعت وهرولت إلى الباب ثم خرجت إلى والدها ووالدتها مفزوعة مرعوبة وهي تصرخ وتقول: جدي جدي. جرى كل من في الصالة إلى غرفته مفزوعين فوجدوه ساجدًا لا يتحرك، ظل ينظر عمار إلى كل من في جانبه في توتر وخوف، ظل يقترب منه بخطوات بطيئة جدًا وأنفاسه تخرج بصعوبة، ابتلع ريقه من الخوف، حتى وضع يده عل ظهره ومع أول هزة، أصبح جسدًا مسجى على الأرض ملقى على ظهره مبتسم ابتسامة جميلة ووجهه أبيض كالثلج أو أشد بياضًا من العباءة التي يرتديها، وضع كل من في الغرفة يده على فمه في ذهول وفزع وظل عمار يصرخ فيه ويهزه هزًا شديدًا هاتفًا: عمي حمزة، عمي حمزة. ولكنه لم يجبه فقد فاضت روحه إلى الله سبحانه وتعالى وهو ساجد بين يديه، بكى كل من في الغرفة بهسترية وأصيبت ابنته حفصه بالفزع والهلع، طلب منهم عمار أن يهدئوا وصرخ فيهم بعصبية وطلب منهم أن يخرجوا إلى صالة البيت، حمله عمار على يده ووضعه على سريره، أمسك هاتفه واتصل بمغسل صديقه وأخبره بالخبر فأخبره المغسل أنه سيأتيه بعد قليل ليغسله، أراد عمار أن يجهزه حتى لا يأخذ المغسل وقتًا في غسله، وضع يده على صدره لينزع العباءة التي يرتديها فوجد في جيب العباءة الصغير ورقة بيضاء، أخرجها وقرأها، وما أن قرأها حتى بكى بكاءً شديدًا وظل يترحم عليه، هذه الورقة كان مكتوب فيها:
اطمئنوا فأنا وعمر الآن على سرر متقابلين في جنة عرضها السماوات والأرض.

تمت بحمد الله

شكر خاص جدًا

أشكر من كل قلبي كل من ساهم في تطوير هذا العمل ليصل إلى شكله النهائي، أصدقائي الأعزاء الذين أخذوا من وقتهم ولو جزءًا قليلًا ولكنه كثير وغالٍ عندي ليقرأوا ويعطوني ملاحظتهم التي أفادتني كثيرًا وعلى رأسهم:
الدكتورة إسراء جاد، الأستاذ محمد مسعد، الأستاذ مدحت رأفت، الأستاذة فاطمة طلال،
محمد سلطان (أبو ماسة)، مصطفى حسن العوضي، محمد حسن العوضي، محمود عوض، محمد الشخيبي، أحمد مجدي، عمرو أحمد توفيق، مازن عبد الرحمن، أيمن محمد فرج، محمود جمال عبد الله، محمد عبد الرحمن الشخيبي، محمد شوقي العربي، محمد شلبي، محمد السيد، محمد على الفخراني، محمود الهادي، نادر أشرف، م/ محمد فؤاد، الأستاذ محمد دربالة، م/ محمد البغدادي، م/ أحمد جمال عبد الناصر، أحمد رضوان (صاحب مكتبات كتابيكو)
أقول لكم إن الله قد عوضني بكم خيرًا، وجودكم في حياتي علامة مميزة فشكرًا لكم.
وأخيرًا شكرًا لك أيها القارئ على وقتك لقراءة هذا العمل البسيط، الذي أسأل الله عز وجل أن يكون في ميزان حسناتك يوم القيامة.

المراجع التي اعتمدت عليها في كتابة روايتي:

- اللهم اجعل قلمي شاهدًا لي لا علي.
- الرحيق المختوم لصفي الدين المباركافوري.
- صحيحي البخاري ومسلم.
- فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لعلي الصلابي.
- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني.
- فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل.
- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.
- عبقرية الصديق لعباس محمود العقاد.
- عبقرية عمر لعباس محمود العقاد.
- رجال حول الرسول لخالد محمد خالد.
- أصحاب الرسول محمود المصري.

السيرة الذاتية للكاتب

الاسـم محمد رمضان أحمد ريحان محمد
تاريخ الميلاد ١٩٩٠/٩/١١م
محل الميلاد مصر- بورسعيد
المهنة مهندس مدني
العنوان في مصر: بورسعيد حي الضواحي بنك الإسكان أمام مديرية التربية والتعليم
رقم التلفون: ٠١٠٠١٤٩٩٠٧٦-٠١٠٢٥٢٢٢٦١٨
mohamedrehan١١٩-@yahoo.com البريد الإلكترونى
رقم التواصل عبر الواتس اب: ٠١٠٢٢٠٢٣١٠١
مهندس مصري حاصل على بكالريوس الهندسة المدنية دفعة ٢٠١٢
ميوله الكتابية هي الكتابات الدينية
حصل في المرحلة الثانوية على جائزة عمرة وكانت المسابقة هي دراسة كتاب الرحيق المختوم
لصفي الدين المباركافوري الذي يتحدث عن السيرة النبوية والاختبار فيه وحفظ خمسة آلاف حديث من صحيح البخاري ومسلم.
والاختبار فيها عن طريق تسميع وكتابة ١٠٠ حديث منها.

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub